الإنسان في ضوء الفكر الغربي

عرض ونقد

الباحث / أ.عبدالرحمن علي إسماعيل

مجلة القلم
(علميّة – فصليّة – محكّمة)
الرقم الدولي
(ISSN 2410-5228)
تصدر عن جامعة القلم
للعلوم الإنسانية والتطبيقية
مدينة إب
الجمهورية اليمنية

www.alkalm.net

Abstract

The paper deals with the reality of human soul as viewed by the Western Thought, pinpointing the deviation of the western theories which are concerned with studying human being and the sciences relating to him, and how they affect the way of treating him. These theories also affect solving human being's problems and setting courses of upbringing him, and consequently affecting the systems and legislations in different ways .

The research starts presenting the theory of knowledge in the western thought, being the first base and the only starting point of western thought in viewing the universe, life and the realty of human being and prescience. This is so because the more the deviation in knowledge approach, the more the deviation in evaluating life including the realty of human soul.

The research then presents the prominent theories the western thought considers in studying the human soul, and how those theories varied, differ from, and contradicts one another. All this is due to the difference in knowledge approach, its sources and specifying the referent of judgment of difference.

ملخص البحث :

يتناول البحث نظرة الفكر الغربي لحقيقة النفس الإنسانية ، وبيان مدى الانحراف في النظريات الغربية المتعلقة بدراسة الإنسان والعلوم المتعلقة بها ، والتي أثرت بدورها على طريقة التعامل معه، وعلاج مشكلاته ، ووضع المناهج المتعلقة بتربيته ، وبالتالي أثرت على النظم والتشريعات المتعلقة به ترغيباً وترهيباً .

بدأ البحث أولاً بعرض نظرية المعرفة في الفكر الغربي والتي تعد الأساس الأول ، والمنطلق الوحيد الذي انطلق منه الفكر الغربي في نظرته للكون والحياة وحقيقة الإنسان بل وعالم الغيب والشهادة ، ذلك بأنه بمقدار الانحراف في منهج المعرفة يكون الانحراف في تقييم الحياة كلها بما في ذلك حقيقة النفس الإنسانية .

ثم عقب البحث بعد ذلك بعرض أهم النظريات الغربية التي انطلق منها الفكر الغربي في دراسة النفس الإنسانية ، ومدى تعدد تلك النظريات واختلافها وتناقضها ، بسبب الاختلاف في منهج المعرفة ومصدره ، وتحديد مرجعية التحاكم عند الاختلاف .

مقدمة البحث :

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده .. وبعد:

فإن من نعم الله تعالى على عباده أن أرسل الرسل وأنزل الكتب لبيان الحق وتفصيل معالمه ، والتحذير من الباطل ، وتوضيح سبل الغواية ، لا سيما ما يتعلق بالمعتقد والفكر .

حيث إن صلاح العقيدة هو أساس صلاح الفكر والسلوك ، كما أن فساد العقيدة هو أساس فساد الفكر والسلوك ، لقد مثل المنهج النبوي المصدر الذي يتلقى منه الناس عقائدهم ، ويضبطوا به أفكارهم ويحتكموا إليه عند اختلافهم ، وبدون ذلك المصدر النبوي المتلقى من الوحي ، تتعدد المصادر وتكثر المرجعيات وتتشعب العقائد والأفكار وتكثر الطرق والمناهج فضلاً عن تعدد النظم والتشريعات ، ولا سيما في أكبر القضايا وأهمها ، قضية النظر إلى الكون والحياة وحقيقة النفس الإنسانية ، والتعرف على ما حوله من عالم الغيب والشهادة بطريقة صحيحة .

أهمية الموضوع وأسباب اختياره :

١- إن التعامل الصحيح مع الإنسان وصياغة النظم والتشريعات المناسبة تنبني على المعرفة بحقيقة الإنسان وأصل نشأته وغاية وجوده والمصير الذي ينتظره ، وما أودع الله تعالى فيه من الغرائز والصفات .

٢- خطورة الانحراف في تصور حقيقة النفس الإنسانية ، واستيعاب جميع ما يتعلق بها من القضايا وأثر ذلك الانحراف في التعامل معه ، ورسم المناهج والتشريعات البعيدة عن فطرته وغاية وجوده ، واطلاق العنان للإنسان ليقول ما يشاء ويفعل ما يشاء أو يشبع رغباته من حلال أو حرام

٣- كثرة النظريات المتعلقة بالدراسات الإنسانية والتي لم تستند إلى الوحي المنزل من خالق الإنسان ومن هو أعلم به من غيره ، والتي درست حقيقة الإنسان من جوانب جزئية ، ولم تنظر إليه نظرة شمولية ، واعتبار ذلك هو الحق الذي لا مرية فيه ومحاولة تعميم ذلك في العالم ، ورفض الدراسات المستندة إلى الوحي واعتبارها مصدر الخرافة والأوهام .

الدراسات السابقة :

من خلال البحث والتقصي لم أجد من أفرد هذا البحث بدراسة مستقلة ، ولكن بعض الباحثين تناول هذا الموضوع ضمن بحوث أخرى ، من أهمها :

١- الإنسان بين المادية والإسلام – محمد قطب .

٢- بين علم الاجتماع الإسلامي وعلم الاجتماع الغربي – أ. د/ سعد الدين صالح .

٣- التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية – محمد عز الدين توفيق .

٤- دراسات في النفس الإنسانية – محمد قطب .

٥- تمهيد في التأصيل – عبد الله ناصر الصبيح .

٦- الإنسان ذلك المجهول – الكسيس كاريل .

وقد تعرضت تلك الدراسات لحقيقة الإنسان في ضوء الفكر الوضعي من خلال الإشارة إلى بعض النظريات التي انطلق منها الفكر الوضعي في نظرته للإنسان ، ولم تستوعب النظريات التي انطلق منها ولا الأسس التي قام عليها ، وكان ذلك هو الجديد في هذا البحث الموجز ، حيث حاول الباحث استيعاب معظم النظريات التي انطلق منها الفكر الغربي في موقفه من الإنسان ، إضافة إلى ذكر الأساس الذي قام عليه ذلك الموقف ، وهو بيان منهج المعرفة الذي تقوم عليه النظرية الغربية للكون كله .

أهدف البحث :

١- يهدف البحث إلى إبراز قصور الفكر الوضعي – بعيداً عن الوحي – في التعرف على حقيقة الإنسانية ، وإظهار النظرة الجزئية للفكر الوضعي في دراسة النفس الإنسانية .

٢- بيان أثر الانحراف الفكري في التعامل مع الإنسان ، وإبراز التناقض والاختلاف في النظريات الوضعية في تحديد حقيقة النفس الإنسانية واضطراب الآراء والأفكار تبعاً لذلك ، مما أدى إلى تعدد المناهج واضطرابها في القضية الواحدة .

خطة البحث :

اقتضت طبيعة البحث أن يتكون من مقدمة ومبحثين وخاتمة :

المقدمة :

وفيها أهمية البحث وأسباب اختياره والدراسات السابقة وهدف البحث .

المبحث الأول : نظرية المعرفة في ضوء الفكر الوضعي – وفيه خمسة مطالب :

المطلب الأول : الإلحاد وأثره في نظرية المعرفة .

المطلب الثاني : مصدر المعرفة في الفكر الوضعي الغربي .

المطلب الثالث : ازدواجية الحقيقة العلمية .

المطلب الرابع : النسبية في القيم .

المطلب الخامس : التعارض بين الدين والعلم .

المبحث الثاني : الإنسان في ضوء الفكر الغربي – وفيه المطالب الآتية :

المطلب الأول : النظريات المادية في تفسير حقيقة الإنسان – وفيه الفروع الآتية :

الفرع الأول : نظرية الداروينية .

الفرع الثاني : النظرية الماركسية .

الفرع الثالث : نظرية فرويد .

الفرع الرابع : نظرية دور كايم .

الفرع الخامس : نظرية علم النفس المعرفي .

الفرع السادس : المدارس والاتجاهات في علم النفس الغربي .

الفرع السابع : مذاهب وآراء أخرى .

المطلب الثاني : حقيقة الإنسان في ظل النظريات المادية .

الخاتمة :

وفيها أهم النتائج والتوصيات .

المبحث الأول

منهج المعرفة في ضوء الفكر الوضعي

مدخل :

١- يمثل منهج المعرفة الأساس الذي انطلق منه فلاسفة عصر النهضة في أوربا ومن جاء بعدهم من المفكرين ، بل إن نظرية المعرفة هي لب الفلسفة الأوربية ، وكان لها أثر كبير في نظرتهم للوجود والانسان ومنهج الحياة .

٢- تعدد مناهج المعرفة في الفكر الأوروبي الحديث ، وتناقضها وظهور بعضها رداً على بعض ، مع تأثرها بالفلسفة اليونانية القديمة ، فالمذهب العقلي عند ديكارت (١٥٩٦- ١٦٥٠م) وأتباعه الذين يرون أن العقل هو طريق المعرفة وأما الحواس فلا تقدم شيئاً ، إنما جاء رداً على مذهب الشكاك وتأثراً بأفكار أفلاطون وسقراط .

والمذهب التجريبي عند جون لوك (١٦٣٢- ١٧٠٤م) وأتباعه الذين يرون أن التجربة الحسية هي مصدر المعرفة ، إنما ظهر رداً على المذهب العقلي ورفضاً للقول بأن الافكار الفطرية والمسلمات البدهيه هي أساس المعرفة ، وهو متأثر في ذلك بالفيلسوف اليوناني أبيقور (ت٢٧٠ ق.م) الذي وضع ثقته في المعرفة بالتجربة الحسية ، وكذا الرواقيون الذين حصروا المعرفة بالحس وإن لم ينفوا العقل.

ثم ظهر المذهب النقدي على يد كانط الألماني (١٧٢٤- ١٨٠٤م) رداً على المذهبين السابقين إثباتاً للحق عندهما ونفياً للخطأ عند الفريقين في زعمه .

٣- كان للمناهج السابقة أثر كبير في ظهور عدد آخر من مذاهب المعرفة فيما بعد مثل مذهب الحدس عند برجسون الفرنسي (١٨٥٩- ١٩٤١م) وأتباعه ، ومذهب البراجماتيه عند وليم جيمس الأمريكي (١٨٤٢- ١٩١٠م) الذي يرى أن السلوك هو الطريق الى المعرفة ، وأن الحقيقة توجد في جملة التجربة الإنسانية لا في الفكر النظري البعيد عن الواقع ، وكذا المذهب الوجودي عند الفيلسوف الدانماركي كيرك جورد (١٨١٣- ١٨٥٥م) وسارتر (١٩٠٥- ١٩٨٠م) الذين ثاروا على المذهب العقلي واعتنوا بالتجربة الحسية للإنسان باعتبارها الوسيلة التي يعرف بها الإنسان العالم [(١)].

ومن خلال استعراض هذه المذاهب في المعرفة يمكن إجمال حقائق هذه المذاهب في المطالب الآتية:

المطلب الأول : الإلحاد وأثره في نظرية المعرفة

الإلحاد في اللغة : الميل والعدول عن الشيء ، وقال ابن السكيت: الملحد العادل عن الحق المدخل فيه ما ليس فيه[٢] .

وجاء في الصحاح للجوهري [٣]: ألحد في دين الله أي حاد عنه وعدل وألحد الرجل أي ظلم في الحرم وأصله من قوله ﷻ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَـٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَـٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾ ﴾ الحج: ٢٥ .

والإلحاد في الاصطلاح : الشك في الله ﷻ أو في أمر من المعتقدات الدينية[٤] ، وجاء في الموسوعة الميسرة : " الإلحاد هو مذهب فلسفي يقوم على فكرة عدمية أساسها إنكار وجود الله الخالق ﷻ "[٥] .

وقد ظهر الإلحاد وانتشر في القارة الأوربية بسبب الوثنية التي عمت أرجاء القارة الأوربية قبل اعتناقها النصرانية ، إضافة إلى تحريف الكتب المقدسة وطغيان رجال الدين مع ظهور النظريات الإلحادية .

أثر الإلحاد في مجال المعرفة [٦]:

أثر الإلحاد على جميع مناحي الحياة بل أثر على معتقدات الناس في عالم الغيب والشهادة ، وعبث بأفكارهم المتعلقة بالدنيا والآخرة وحقيقة الوجود ومن أبرز آثاره في مجال المعرفة ما يأتي :

١. حصر مجال المعرفة في عالم الشهادة دون عالم الغيب لأن المذهب الإلحادي يقوم على أساس مادي فهو لا يؤمن إلا بالمحسوس .

٢. استبعاد الوحي من مصادر المعرفة ، لأن الوحي خرافة في نظرهم فهم لا يؤمنون بالله ﷻ ولا برسله ولا بدينه ولا بالمعجزات التي جاء بها رسله عليهم الصلاة والسلام وكل ذلك بعيد عن مجال العلم .

٣. اعتماد المنهج التجريبي مصدراً للمعرفة دون سواه بل أعمل هذا المصدر فيما يمكن استعماله فيه ، وفيما لا يمكن استعماله فيه .

٤. إنكار العلوم الفطرية الضرورية تبعاً لإنكار الفطرة الإنسانية ، واستبعاد أن تكون الفطرة مصدراً للمعرفة .

٥. أما المصادر الفرعية للمعرفة التي قد تحصل لبعض الأفراد كالإلهام والرؤيا الصالحة والحدس والفراسة ولو بشروطها السابقة وضوابطها المعروفة فهي عندهم أبعد من الخرافة .

المطلب الثاني : مصدر المعرفة في الفكر الوضعي :

قبل نشوب الصراع بين الكنيسة وبين علماء الطبيعة كانت تعاليم الكنيسة تمثل المصدر الأول للمعرفة ، وسواء في ذلك ما ينقلونه للناس من تعاليم الكتب المحرفة أم ما يقوله القساوسة بمحض رأيهم وأهوائهم ، وكان رجال الدين يلقون السمع والطاعة من الجماهير الجاهلة ، لأن ما يقوله رجال الدين هو بتفويض إلهي وليس من عند أنفسهم – كما زعموا – فجميع ما يصدر عنهم معصوم ، ولكن نظراً لطغيان الكنيسة ورجال الدين وتحريف الكتب المقدسة وتأثر كثير من المفكرين الأوروبيين بالحضارة الإسلامية في ميدان العلم والبحث ، مع الرغبة في التطور والنهوض والخروج من مستنقع الجهل والضلالة والتخلف الذي فرضته الكنيسة ، فقد نشب صراع مرير بين علماء الطبيعة وبين رجال الدين وانتهى الصراع بعزل الدين عن الحياة ، فعزل عن مجال العلوم والمعرفة ولم يعد له أي تأثير، بل أصبح رمز للخرافة والأوهام باعتراف كثير منهم(٧) .

وبعد عصر النهضة والتخلص من طغيان الكنيسة ، كان لابد من منهج بديل يشمل جميع جوانب الحياة عموماً ومنهج المعرفة خصوصاً ، فانطلق فلاسفة النهضة متأثرين بالحضارة اليونانية يصوغون المناهج والأفكار التي توجه السلوك ، فكثرت المناهج وتعددت مصادر المعرفة ولم يستقر الأمر عند مصدر محدد ، وكان المنهج التجريبي من أكثرها شيوعاً وهو المنهج الذي جمع بين العقل والتجربة كما عند كانط وأتباعه ورُفض المنهج الفلسفي المتمثل بالمنطق الأرسطي بصوريته وعقمه الفكري واتخذ بدلاً عنه المنهج الاستقرائي المعتمد على الملاحظة والتجربة والانطلاق من الجزيئات إلى الكليات ومن الفروض إلى النظريات فإلى القوانين أو الحقائق العامة (٨) .

ومع النجاح الذي حققه المنهج التجريبي في ميدان الدراسات المادية والخدمات الهائلة التي قدمها في مدة قصيرة في كثير من مجالات الحياة وذلك جهد لا ينكره إلا جاحد فالمخترعات الحديثة وفرت الوقت والجهد وضاعفت الطاقة البشرية ، حتى أذهلت الفكر نفسه وأربكت الحياة الإنسانية بقفزاتها الكبيرة وسرعتها في هذا الميدان .

أدى ذلك كله إلى الغلو في المنهج التجريبي والثقة الزائدة به والرجوع إليه في أي جانب من جوانب المعرفة أياً كانت حتى قال أحد أساتذة علم النفس بجامعة كامبردج (د.ميرس) : " لا يمكن أن نقتنع بالعالم الروحي إلا إذا أمكنت معرفته على أسلوب يستطيع العلم أن يقبله ولن يكون ذلك بالتنقيب في الأساطير القديمة ولا بالتأمل في عالم ما بعد الطبيعة ولكنه بواسطة التجربة والمشاهدة وبتطبيقنا على الظواهر بواسطة أساليب المباحث المضبوطة هذه المباحث لا يجوز أن تبنى على الوحي ، بل يجب أن تؤسس ككل بحث علمي بمعناه الصحيح على تجارب يمكننا تكرارها اليوم والزيادة عليها غداً "(٩) .

وبهذا الشطط أصبحت لفظة علم لا تطلق على إلا على ما ينتجه العلم التجريبي دون سواه .

يقول الدكتور مُحَمَّد البهي عن المذهب التجريبي : " إن تحصيل الإنسان للحقائق الكونية ومعرفته بها لا يكون إلا بالتجربة الحسية وحدها ، ومعنى ذلك أن الحس المشاهد لا غيره هو مصدر المعرفة الحقيقية اليقينية .. ففي العالم الحسي تكمن حقائق الأشياء . أما انتزاع المعرفة مما وراء الظواهر الطبيعية الحسية ، والبحث عن العلة في هذا المجال فأمر يجب أن يرفض . ولهذا تكون كل نظرية أو كل فكرة عن وجود له طابع الحقيقة فيما وراء الحس نظرية أو فكرة مستحيلة " ، ويقول : "وهكذا يتفق المذهب العقلي مع المذهب التجريبي في البعد عن الله وتجنب البحث عن الغاية من الخلق ، والنظر في " الطبيعة " بدلا من النظر فيما وراء الطبيعة أى في عالم الحس بدلا من عالم الغيب " (١٠) .

وهناك مجموعة من الملاحظات على هذا المصدر ، ومن أبرز تلك الملاحظات ما يأتي (١١):

١. أن المنهج التجريبي ذاته يمثل أحد مصادر المعرفة ولا يستغني عنه الباحث، بل إن العلوم في أوروبا لم تتطور إلا حينما تخلصت من المنهج الأرسطي القائم على التأملات العقلية وأخذت بالمنهج التجريبي القائم على الاستقراء والملاحظات المباشرة.

٢. أن المسلمين قد اخذوا بهذا المنهج قبل أوروبا وأن المفكرين الأوربيين أخذوا هذا المنهج من المسلمين باعتراف كثير منهم حينما تعرفوا على الحضارة الإسلامية عبر الفتوحات والبعثات الأوربية إلى بلاد المسلمين .

٣. لم يحدث صراع بين العلم والدين حين أخذ المسلمون بهذا المنهج، بل آيات القرآن ترشد إليه وكثير من الحقائق التي عرفت بواسطة هذا المنهج قد وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية فسلامة الوحي في الإسلام وحفظه كان سببا في توافق العلم البشري والعلم الإلهي وعدم تعارضهما .

٤. أن الصراع الحاصل بين العلم والدين في أوروبا حين أخذت بالمنهج التجريبي كان سببه تحريف الكتاب المقدس لدى النصارى إضافة إلى الطغيان الذي مارسته الكنيسة في جميع مجالات الحياة فأصبحت تعاليم الكتب المقدسة مصدرا من مصادر الخرافة .

٥. المنهج التجريبي ليس كافيا في مجال المادة واكتشاف الحقائق الظاهرة بل أصبح اليوم جزء من منهج أوسع يسميه بعضهم بالمعيار الاستدلالي ولذا فإن انتقاد المنهج التجريبي ليس لذاته بل بسبب قصر المعرفة عليه .

٦. إن هذا المنهج يستعمل في عالم المادة ، غير أن عالم المادة متغير بسبب تقدم العلوم الطبيعية ، فقد اتسع عالم المادة ليشمل ظواهر لم تكن في السابق تعد من عالم المادة ، يقول (هنري مارجينو) أحد الفيزيائيين: " العقيدة الأساسية للمذهب المادي هي أن الحقيقة كلها تكمن في المادة وهذا رأي كان مقبولا بعض القبول في آخر القرن الماضي غير أن أمورا كثيرة حدثت في هذه الأثناء تكذب هذا الرأي " ويقول (هايز نيرج) أحد كبار الفيزيائيين

الذين أثروا في تاريخ الفيزياء: " إن الفلسفة الذرية المعاصرة قد نأت بالعلم عما كان يتسم به من اتجاه مادي في القرن التاسع عشر "(١٢) .

٧. البحث بواسطة هذا المنهج يصلح لما له طبيعة مادية أما ما سوى ذلك مما ليس له طبيعة مادية فلا يصلح للبحث فيها أو رفضها ، لأنها خارجة عن نطاقه ، مثل عالم الغيب الخارج عن حدود العقل وحقيقة النفس الإنسانية ، وما يؤول إليه الوجود في المستقبل ولهذا فلا ينبغي الاقتصار عليه كمصدر للمعرفة ، فيؤدي ذلك إلى حرمان العلم من الاستفادة من الوحي المنزل ، وهو مصدر معصوم لا يتطرق إليه شك وكذلك حرمانه من التعرف على حقائق وظواهر في الأنفس والآفاق خارجة عن مجال بحثه(١٣) .

٨. "كان من آثار الاندفاع المادي والركون إلى المنهج التجريبي في دراسة الأشياء ونقدها ، أن طغت في الثقافة الغربية – وخاصة فلسفاتها الإلحادية — موجة من الرفض الشديد لكل ما يتجاوز عالم المادة المدرك بالخبرة الحسية ، وصار البحث فيها نوعاً من تعمية العقل وإيقاعه في شراك الخرافة والوهم ، وبالتالي فإن صرف العقل نحو عالم المادة يعد تنويرا له "(١٤) .

٩. عدم كفاية العقل : وذلك للأسباب الآتية :

أ- العقل محدود في عمله ، فلا يستطيع أن يدرك كل الحقائق مهما أوتي من قدرة على الاستيعاب ، فستظل كثير من الحقائق بعيدة عنه .

ب- عجز العقل عن إدراك عالم الغيب وحقيقة الصفات الإلهية وإدراك الغاية من الخلق ومعرفة تفاصيل العبادة فها هو الزعيم الهندي (غاندي) الذي قاوم الاستعمار الإنجليزي في الهند يصرح ويقول: "عندما أرى بقرة لا أعدني أرى حيواناً لأني أعبد البقرة وسأدافع عن عبادتها أمام العالم أجمع" ، بل وصل به الضلال أن فضل البقرة على أمه التي ولدته فقال: "وأمي البقرة تفضل أمي الحقيقية من عدة وجوه ، فالأم الحقيقية ترضعنا مدة عام أو عامين وتطلب منا خدمات طوال العمر، ولكن أمنا البقرة تمنحنا اللبن دائماً ولا تطلب منا شيئاً". بل يصرح ويقول: " إن حماية البقرة التي فرضتها الهندوسية هي هدية الهند إلى العالم وهي إحساس برباط الأخوة بين الإنسان وبين الحيوان، والفكر الهندي يعتقد أن البقرة أم للإنسان وهي كذلك ، إن البقرة خير رفيق للمواطن الهندي وهي خير حماية للهند"(١٥) .

ج- تفاوت العقول واختلافها فما هو معيار الصواب والخطأ عندما تختلف العقول وتتفاوت الأفهام ؟ ومن هنا كثرت المناهج والآراء في القضية الواحدة .

د- أن العقل ليس المصدر الوحيد للمعرفة ، فمن الحقائق ما يدرك بالسمع أو البصر ، ومنها ما يعرف بالعقل ومنها ما يعرف بالوحي ، وغير ذلك من مصادر المعرفة.

هـ- عدم كفاية العلوم العقلية والتجريبية لهداية البشر ، وعلاج مشكلاتهم ، ولا تزال البشرية تعاني في كثير من المجالات السياسية والفكرية والاقتصادية والاجتماعية رغم تقدم العلوم العقلية ، لكنها عجزت عن حل تلك المشكلات التي تحتاج لهداية الخالق جل وعلا[١٦].

فالعلوم التجريبية تعنى بالجانب المادي ، ولا تزال قاصرة في كثير من الجوانب ويصيبها الخلل في كثير مما تزعمه في الثوابت العلمية .

يقول (وليام رسل) : " لسوء حظنا لم تعد الطبيعة النظرية تحدثنا اليوم بالثقة الرائعة نفسها التي كانت تحدثنا بها في القرن السابع عشر، لقد كانت لأعمال نيوتن أربعة تخيلات رئيسية: المكان والزمان والمادة والقوة ، وقد أصبحت هذه العناصر نسياً منسيا في علم الطبيعة الحديث وقد أصبح هذا التصور قديماً إن لم نقل إنه قد مات فعلاً "[١٧] .

ويقول (الكسيس كاريل) : "لقد أصبح جلياً أن تقدم كل العلوم المتعلقة بالإنسان لا يكفي لإشباع احتياجاتنا عنه وبإيجاز شديد إن علمنا عن ذاتنا لا يزال في حالة بدائية"، ويقول: "إننا لا نستطيع التوصل إلى أسرار الإنسان بنفس الأسلوب الذي نستخدمه في اكتشاف خواص المادة، أما عجزنا الأكبر والأهم، فهو أن كل دراستنا الطبيعية في دراسة جثة الإنسان الميت، فلسنا نتمتع بعد بصلاحية الإنسان الحي"[١٨] .

المطلب الثالث : ازدواجية الحقيقة العلمية :

مشكلة العلم في الحضارة الأوربية قديما وحديثا أن أوربا لم تعرف الدين الصحيح المنزل من عند الله ﷻ والمتتبع للتاريخ الأوروبي يجد أن أوروبا تنتسب لثقافتين " ثقافة يونانية رومانية ، وثقافة يهودية نصرانية ، فاليونان لم يكن لهم احتكاك بالرسالات السماوية التي ظهر معظمها في بلاد الشام والحجاز ، ففلسفتهم مقطوعة الصلة بعلم النبوة، والمسيحية لم تنتقل إلى أوروبا صافية ، بل داخلتها الأفكار الوثنية اليونانية والرومانية ، فلم يعد يتميز الإلهي من البشري "[١٩]

ومادام أن الوحي الإلهي السليم من التحريف والتبديل لم يصل إلى العقل الأوروبي فقد كانت تعاليم التوراة والإنجيل تتناقض مع مقتضيات العقل والفطرة لذا كان هينا على أوروبا أن تخلع ربقة الدين وتتخلص منه في ظل موجة العلم التجريبي الذي بهر العقول بمنجزاته في مقابل طغيان رجال الدين ، فانقسم العقل الأوربي وصار ينظر إلى الدين نظرة احتقار وازدراء وينظر إلى المعلومات التي يدلي بها رجال الكنيسة أنها معارف غير موضوعية وغير

قائمة على البحث العلمي، بل تقوم على أساس التسليم المباشر بمقتضياتها لذا فهي رمز الخرافة والأوهام في حين ينظر لكل ما يأتي به العقل والتجربة الحسية المشاهدة أنه يمثل الحقيقة في جميع الميادين فما يقوله مقبول بغض النظر عن صحة ما توصل إليه العلم أو بطلانه ومدى مطابقة الواقع من عدمه .

حتى وصلت ثقتهم بالعلم حد التأليه ، يقول الكاتب المشهور (سومر ستموم) (١٨٧ – ١٩٦٥م) : " إن أوروبا قد نبذت اليوم إلهاً، وآمنت بإله جديد هو العلم ، ولكن العلم كائن متقلب ، فهو يثبت اليوم ما نفاه بالأمس ، وهو ينفي غداً ما يثبته اليوم ، لذلك تجد عباده في قلق دائم لا يستقرون " [٢٠] .

المطلب الرابع : النسبية في القيم

النسبية في اللغة : من النسبة بمعنى الصلة أو القرابة وفي الرياضة : المقارنة بين كميتين ، والنسبة المقدار المنسوب ، والنسبة المئوية مقدار الشيء منسوباً إلى مائة[٢١]

والنسبي في الاصطلاح [٢٢]:

١. يراد به ما يقابل المطلق ، فإذا دل المطلق على الموجود بذاته كان النسبي ما يتوقف وجوده على غيره .
٢. النسبية الأخلاقية : مذهب يقرر أن فكرة الخير والشر تتغير بتغير الزمان والمكان
٣. نسبية المعرفة :يقصد بها أن المعرفة الإنسانية نسبة بين الذات العارفة والموضوع المعروف.
٤. النسبية في الأخلاق والسياسة : ما لا يحده حد ولا يقيده قيد ، ومنه الخير المطلق والسلطة المطلقة .
٥. النسبية في الميتافيزيقا : وهو ما لا يفتقر في تصوره ولا في وجوده إلى شيء آخر ، ومنه الوجود المطلق .

وبناءً على ذلك فإن النسبية في القيم تعني : أن القيم ليست ثابتة بل تتغير بتغير الزمان والمكان ، فما يعد قيمة في زمان أو مكان قد لا يكون في زمان أو مكان آخر .

وإذا كانت القيم هي المرجعية للسلوك ، فهذا يعني أن السلوك يتغير بتغير القيم ، بل إن القيم إذا انهارت انهار المجتمع ، لأن حركته فقدت التوازن ، وقضية النسبية في القيم تعود إلى النظريات والآراء التي وضعها علماء الفلسفة والعلوم الاجتماعية ، وأول من تنسب إليه في تاريخ الفكر الغربي(بروتوجراس) اليوناني في القرن الخامس قبل الميلاد وخلاصتها أنه ليس هنالك معيار ثابت يميز به بين الحق والباطل ، بل هي أحكام نسبية إلى الأفراد فما يراه زيد حقاً ليس حقاً عند غيره ، أو نسبية إلى ثقافة ما أو غير ذلك إذ ليس هناك معيار عالمي للحق والخير .

ومن أقوال الغربيين في ذلك : "كل ما كان من أعراف وعادات زمان ومكان معين فله ما يسوغه في ذلك الزمان والمكان " ، وقول آخر : " إن معظم المجتمعات البشرية تسلك طرق مختلفة طلباً لغايات مختلفة ، فلا يمكن الحكم على وسيلة منها أو غاية بمقاييس مجتمع آخر ، لأنها غير قابلة للموازنة " [٢٣] .

يقول " تشارلز فرانكل " – أستاذ الفلسفة الليبرالي في جامعة كولومبية – عند نقده للفلسفة الليبرالية : " ففي الثقافة الحديثة كل شيء نسبي وليس ثمة شيء مطلق ، فليس لنا مبادئ أولية ، ولا قيم نهائية ، ولا عقائد راسخة لا فكاك منها ، ولا إيمان بوجود معنى غائي للحياة ... وقد ترتب على هذا أن خلت بيوتنا من النظام ، ومدارسنا من الغايات الواضحة ، وصارت سياستنا الخارجية مائعة وضعيفة ، وثمة تشكك واستخفاف في مقاييسنا الخلقية الشخصية ، وانتهازية في سياستنا ، وإحساس عام بالانسياق ، وانعدام الغاية في حياتنا اليومية ، وشر ما في الأمر أننا استسلمنا لهذه الحالة من الشك الذي يسير بنا قفزاً ، واعتبرناها قضية مبدأ ، وذلك لأننا نعيش تحت سحر فلسفة تعتبر احتقار السلطة فضيلة ، وتملأ نفوسنا بالرعب من الأخذ بأية عقيدة " .[٢٤]

تأثير النسبية في مجال المعرفة :

ويلاحظ أن القول بنسبية القيم وعدم ثباتها قد أثر في مجال المعرفة في عدة جوانب منها :

١- إنكار العلوم الضرورية الفطرية التي ينشأ عليها كل إنسان بفطرته ، ولا تحتاج إلى نظر واستدلال ، لأنه لا ثبات عندهم لشيء .

٢- إنكار العلوم الثابتة في جميع الشرائع السماوية والتي جاء بها الوحي من السماء والتي تمثل قمة القيم كالعبودية والعدل والحق ونبذ الشرك والخيانة والظلم والعدوان .

٣- الانحراف في مفهوم التطور والحضارة والتقدم فيفسر التحلل من تعاليم الدين والفطرة وثوابت المجتمع ، بأنه تطور بينما يفسر التمسك بالحق والعدل وحب الخير والعفة والرقي بالنفس في عالم المثل بأنه رجعية وتخلف ، هذا فيما يتعلق في مجال المعرفة.

أما الملاحظات على نظرية النسبية في القيم ، فمن أبرزها ما يأتي [٢٥]:

أ- إن القول بهذه النظرية أيضاً نسبي فهو من إملاء ثقافة معينة ولا يلزم القول به في ثقافة أخرى ، فتنقض نفسها بنفسها ، وهناك قيم مشتركة بين الناس جميعاً رغم اختلاف ثقافتهم باعتراف علماء الأنثروبولوجيا أنفسهم ويمثلون لذلك برذالة الكذب والقتل وغشيان المحارم وعدم العدل .

ب- عدم اتفاق الناس على معايير للأخلاق ، لا يعني عدم وجودها ، فوجود المعيار شيء والاتفاق عليه شيء آخر .

ج- تخبط القائلين بالنسبية في القيم ، حيث لم تتفق تلك النظريات على ضابط يرجع إليه في معرفة النسبية ، فمنهم من ينكر القيم مطلقاً إلا ما تعارف عليه الحيوان ، ومنهم من يردها إلى العالم الاقتصادي ، ومنهم من يردها إلى العقل الجمعي كدور كايم .

د- تعميم القول بالنسبية مطلقاً سواء في المحرمات أو في المباحات ، وسواء ماكان من الأصول والقضايا الكلية ، أو ماكان من الفروع والجزئيات ، فليس هناك واجبات أو محرمات ثابتة لا تتغير ، وهناك عادات وتقاليد مباحة تختلف باختلاف الزمان والمكان ، فالقول بالنسبية يشمل الجميع ، فلم يبق ثبات لشيء في حياة الإنسان وهذا ظاهر البطلان.

المطلب الخامس : التعارض بين الدين والعلم :

من الطبيعي أن تتعارض تعاليم الإنجيل مع مسلمات العقول الصحيحة والفطر السليمة وما تدركه الحواس في عالم الطبيعة وما يكتشفه العلماء في هذا الكون من حقائق علمية بعد أن امتدت إليه يد التحريف والتبديل .

وكان من أول من أقدم على ذلك " بولس " اليهودي المولود (١٠م) الذي قال عن نفسه كما في سفر أعمال الرسل : " أنا رجل يهودي ولدت في طرسوس كيليكية ولكن ربيت في هذه المدينة أورشليم " وصرح في السفر ذاته أنه يهودي فريسي فقال " أيها الرجال الأخوة أنا فريسي ابن فريسي على رجاء قيامة الأموات "[٢٦] وأصبح من الأمور الثابتة المشهورة حتى عند كبار النصارى أنفسهم أن الإنجيل قد تعرض للزيادة والنقصان والتغيير والتبديل وليس لديهم سند صحيح يدل على من كتب تلك الأناجيل المتعددة وما هو الإنجيل الذي نزل على عيسى عليه السلام[٢٧] .

وحين بدأت حركة النهضة في أوروبا أذاع بعض علماء أوروبا ما توصلوا إليه من حقائق تلقوها من المسلمين أو وصلوا إليها بتجاربهم وأبحاثهم وحينها جن جنون الكنيسة من تلك الحقائق واعتبرت ذلك كفرا وخروجا عن تعاليم الكنيسة فأعلنت حالة الطوارئ وشكلت محاكم التفتيش لتعذيب كل من يخرج عن تعاليمها وأصدرت المنشورات التي تؤكد ثبات عقائد الكنيسة وقامت بمصادرة كتاب (كوبرنيق) البولندي (١٤٧٣ – ١٥٤٣م) المتضمن القول بأن الارض ليست مركز الكون ومنعت تداوله وحينما قام (جيوردانوبرونو) الايطالي (١٥٤٨ – ١٦٠٠م) بنشر نظرية كوبر نيق بعد وفاة صاحبها قبضت عليه محكمة التفتيش وزجت به في السجن مدة ست سنوات فلما أصر على رأيه أحرقته وذرته رماداً في الهواء وبعد سنوات جاء (جاليليو) الايطالي (١٥٦٤ – ١٦٤٢م) بالتلسكوب وأيد ما نادى به أسلافه فزجت به المحكمة في السجن وظل يتلو مزامير الندم السبعة طوال ثلاث سنوات ولما خشي على نفسه الاحراق كما حصل لسلفه رجع عن رأيه فجاء وهو راكع أمام رئيس المحكمة يقول: " أنا جاليليو وقد بلغت السبعين من عمري سجين راكع أمام فخامتك والكتاب المقدس أمامي ألمسه بيدي أرفض وألعن وأحتقر القول الإلحادي الخاطئ بدوران الارض " وتعهد بإبلاغ الكنيسة عن أي ملحد يقول بدوران الارض[٢٨] ، وهكذا فعلت الكنيسة مع غيره من علماء الطبيعة ، حتى أصبحت محاكم التفتيش شبحاً مخيفاً في طريق العلم

والاكتشافات والبحث في الكون ، وكان لويس التاسع (١٢١٤ – ١٢٧٠م) ملك فرنسا أول من فكر بالحرق عقاباً على الزندقة في رأيه ، وانتشرت محاكم التفتيش في كثير من بلدان أوروبا تطارد العلماء وتزج بهم في السجون ، وتنزل بهم أبشع العقوبات[٢٩].

من هنا بدأت العلاقة بين الدين والعلم علاقة تضاد وصراع أنداد ، وحصل الطغيان من كلا الفريقين ضد الآخر ، ومع طول المعركة والصراع لم يثبت إلا الحق لدى الفريقين وسينتصر الحق على الباطل في كل من الطرفين .[٣٠]

ولو كان الدين النصراني صحيحاً سليماً من التحريفات ، وانطلق العلم يهتدي بنوره مستخدما المصادر الصحيحة للمعرفة لما حصل إلا التوافق والانسجام ولما قامت تلك المعارك الرهيبة بينهما.

ومن خلال بيان منهج المعرفة في ضوء العقيدة الإسلامية والفكر الوضعي ، يتضح أنه لا مقارنة بينهما ، فبينما ينطلق منهج المعرفة في الفكر الغربي من الاستسلام للنفس والرغبات ، والأصول المادية وحدها ، فيقبل التطور ونسبية الأخلاق ، وتطبيق العلم التجريبي على النفس والأخلاق والاجتماع والإنسانيات ، والمادية والوثنية ، وربوبية غير الله سبحانه وتعالى ، وإعلاء الجنس والتفسير المادي للتاريخ ، فإننا نجد أن منهج المعرفة الإسلامية ينطلق من المجاهدة والاستعلاء على الأهواء ، والنظرة الجامعة بين المادي والمعنوي ، وبين الثوابت والمتغيرات ، كما أنه منهج متكامل يجمع بين الروح والمادة ، ولا يخضع لمنهج التجريب المادي ، لأن فيه انتقاص لجانب كبير من وجودنا ، كما أنه يجمع في توازن وتكامل بين الدنيا والآخرة ، وينطلق من نظرة متكاملة جامعة بين الإيمان بالخالق ، الذي لا يتغير بتغير الزمن والمكان ، وأن حقيقة الوجود الإنساني هي عبادة الله سبحانه وتعالى بكل مقتضيات العبودية ، من ائتمار بأمره ، وتوجه إليه وحده ، وتحاكم إلى منهجه في كل شؤون الحياة ، وأن رابطة التجمع الإنساني هي العقيدة ، لا الجنس ولا القوم ، ولا الأرض ولا اللون .[٣١]

المبحث الثاني

الإنسان في ضوء الفكر الوضعي

المطلب الأول: النظريات المادية في تفسير حقيقة الإنسان

وفيه سبعة فروع :

الفرع الأول : النظرية الداروينية :

تنسب هذه النظرية إلى (تشارلز دارون) ، وهو رجل نصراني عاش ما بين عام (١٨٠٨-١٨٨٢م) بريطاني الأصل ، بدأ دراسته في الطب ثم لم يكملها ، وكان شغوفاً بالرحلات العلمية والاستكشافية وراء البحار، وفي عام

١٨٥٩م أصدر كتابه(أصل الأنواع) وأحدث ذلك الكتاب ضجة كبيرة في الغرب بسبب أفكاره الجديدة المناقضة لما عليه الكنيسة ، وجماهيرها من المعتقدات السائدة [٣٢].

وقد اعتنق نظريته كثير من علماء أوروبا واتبعتهم على ذلك الجماهير بسبب طغيان الكنسية وظلمها من جهة واستغلال اليهود لنظريته والدعاية لها من جهة أخرى ، وتتلخص فكرة دارون فيما يأتي :

أ- إن الكائنات الحية تسير في تطورها مرتقية من أدنى الأحياء إلى الأعلى فالأعلى ، وإن الإنسان قد كان قمة تطورها .

ب- أن أصل المخلوقات حيوان صغير نشأ من الماء ثم أخذت البيئة تفرض عليه من التغيرات عبر ملايين السنين مما أدى إلى نشوء صفات كثيرة راقية جعلت ذلك المخلوق البدائي مخلوقاً أرقى ، حتى انتهى بالإنسان .

ج- إن بقاء بعض الأنواع وانقراض بعضها يرجع إلى ظاهرة الصراع من أجل البقاء فيبقى النوع الأفضل المكافح وينقرض النوع الخامل وهو ما يسمى بالانتقاء أو الانتخاب الطبيعي .

د- الانتخاب الطبيعي معناه: أن تقوم عوامل الفناء بإهلاك الكائنات الضعيفة والإبقاء على الكائنات القوية، وهو ما يسمى بقانون البقاء للأصلح فيبقى الكائن القوي الذي يورث صفاته لذريته وتتجمع الصفات القوية مع مرور الزمن مكونة صفة جديدة وهذا النشوء الذي يجعل الكائن يرتقي بتلك الصفات إلى كائن أعلى وهو الارتقاء.

هـ- كانت هذه النظرية في عالم الأحياء ثم عممت حتى شملت الوجود المادي كله من الغاز السديمي الأول حتى المجرات فالكواكب فالمواد الصالحة لظهور الحياة فالنبات فالحيوان[٣٣]

و- من أقوال (دارون) وهو يشرح نظريته :" إن الطبيعة تخلق كل شيء ولا حد لقدرتها على الخلق . وقال : إن الطبيعة تخبط خبط عشواء"[٣٤] وقال أيضاً : "إن تفسير النشوء والارتقاء بتدخل الله هو بمثابة إدخال عنصر خارق للطبيعة في وضع ميكانيكي بحت "[٣٥]

ز- يقول (هكسلي) (١٨٨٧ – ١٩٧٥م) - وهو من أتباع دارون – وهو يشرح نظريته : "هكذا يضع علم الحياة الإنسان في مركز مماثل لما أنعم به عليه كسيد للمخلوقات كما تقول الأديان "، ويقول أيضاً: " بعد نظرية دارون لم يعد الإنسان يستطيع تجنب اعتبار نفسه حيواناً "[٣٦] .

أسس نظرية دارون.

١- ما شوهد من الحفريات الأرضية حيث وجدوا أن الطبقات القديمة تحتوى على كائنات أولية وأن الطبقات التي تليها تحتوي على كائنات أرقى فأرقى .

٢- تشابه جميع أجنة الحيوانات في أدوارها الأولى مما يوحي بأن أصلها واحد .

٣- وجود الزائدة الدودية في الإنسان التي هي المساعد على هضم النبات وليس لها عمل الآن في الإنسان مما يوحي بأنها أثر بقى من القرود لم يتطور لأنها تقوم بدورها في حياة القرود الآن[٣٧] .

انتشار نظرية دارون.

كان علماء أوربا من أول من اعتنق آراء دارون ظناً منهم أن تلك الآراء ناتجة عن بحث علمي ولأن إنكار نظريته معناه اتباع تعاليم الكنسية والوقوف في صفها ، أما الجماهير فقد وقفت مع الكنسية بادئ الأمر وعز عليها أن يسلبها ذروة إنسانيتها ويردها إلى أصل حيواني ، وينفي عنها التكريم الرباني ، ولكن رويداً رويداً تغير موقف الجماهير واعتنقت آراء دارون متغاضية عن صفة الحيوانية التي ألحقها بها دارون ، بل بدأت الجماهير تهاجم الكنيسة في موقفها ضد دارون وسبق أن ذلك الموقف كان بسبب طغيان الكنيسة وجهود اليهود ، ولم يقف الأمر عند ذلك الحد فقد أصبحت نظرية دارون تدرس الأجيال القادمة في المدارس الأوروبية ضمن المناهج المدرسية[٣٨]. بل صارت محل تصديق وإعجاب عند كثير من العلماء ، ووجدوا فيها الإجابة عن كثير من التساؤلات في زعمهم ، ومن الأمثلة على ذلك :

١. قول (ماندير) : " لقد ثبت صدق هذه النظرية ، حتى إننا نستطيع أن نعتبرها أقرب شيء إلى الحقيقة " .

٢. يقول (سمبسن) : " إن نظرية النشوء والارتقاء حقيقة ثابتة أخيرا وكليا وليست بقياس أو (فرض بديل) صيغ للبحث العلمي " .

٣. وقال (ر. س لل) : " ظلت نظرية الارتقاء تحصل على تأييد متزايد يوما بعد يوم بعد دارون ، حتى إنه لم يبق شك لدى المفكرين والعلماء في أن هذه هي الوسيلة المنطقية الوحيدة التي تستطيع أن تفسر عملية الخلق وتشرحها " [٣٩] .

استغلال اليهود لنظرية دارون :

كان اليهود بعد قيام الثورة الفرنسية قد أحكموا قبضتهم على وسائل الإعلام بسبب مركزهم المالي الذي هيأته لهم الثورة الصناعية ، وحين نشر دارون كتابه (أصل الأنواع) في عام ١٨٥٩م ، وحدثت تلك الضجة الكبرى في تاريخ أوروبا ، استغلها اليهود أبشع استغلال للقضاء على الدين والأخلاق والقيم والتقاليد ، وعملوا جاهدين على نشر نظريته وتطبيقها في مختلف مجالات الحياة وميادين العلوم ومجدت صاحب النظرية ، وسارع (فرويد وماركس ودوركايم) إلى استغلالها وتوسيعها ، يقول الأستاذ مُحَمَّد قطب: " ولكن العلماء اليهود الثلاثة تدخلوا في الأمر ليجعلوا من كل ذلك نظرية يسندها العلم ويعطيها سند الحقيقة العلمية في أنظار الجماهير فلا يعود الأمر

بعد مزاجاً شخصياً يحتاج الإنسان إلى الاعتذار عنه ، وتلمس المبررات له ، وإنما يعود واجباً يقتضيه التقدم العلمي " .

وقال أيضاً : " اتخذ اليهود الثلاثة نواحي مختلفة من الفكر فكتب ماركس في الاقتصاد، وفرويد في علم النفس، ودركايم في علم الاجتماع ، و لكنهم في النهاية يلتقون في عدة أمور، لقد أخذوا كلهم بادئ ذي بدء ، من النظرية الداروينية فكرة حيوانية الإنسان وماديته ، فمدوها ووسعوا نطاقها ، وعمموا إيحاءاتها المسمومة في كل اتجاه"(٤٠) .

ومما يدل على استغلال اليهود لنظرية دارون في تحقيق مطامعهم الخبيثة ، وأن فرويد وماركس ودوكايم عملوا بتوجيه من اليهود وأسسوا أفكارهم بتشجيع ودافع يهودي ما جاء في نصوص البرتوكول الصهيوني :

" لا تتصورا أن تصريحاتنا كلمات جوفاء ولاحظوا هنا أن نجاح دارون وماركس و(نيتشه) (١٨٤ – ١٩٠٠م) قد رتبناه من قبل والأثر غير الأخلاقي لاتجاهات هذه العلوم في الفكر الأممي سيكون واضحاً على التأكيد " ، وجاء فيه أيضاً "إن فرويد منا وسيظل يعرض العلاقات الجنسية في ضوء الشمس لكي لا يبقى في نظر الشاب شيء مقدس ، ويصبح همه الأكبر هو إرواء غريزته الجنسية ، وعندئذ تنهار أخلاقه"(٤١) .

وتقول أيضاً : " إن دارون ليس يهودياً ، ولكنا عرفنا كيف ننشر آراءه على نطاق واسع ، ونستغلها في تحطيم الدين "(٤٢)

نشر اليهود نظرية دارون ومدوا فيها ووسعوها واستغلوها في نشر الإلحاد وإنكار وجود الخالق ﷻ وأنه لا غاية من خلق الإنسان ولا هدف لوجوده إلا كالغاية من خلق الحيوان ووجوده.

الفرع الثاني : النظرية الماركسية.

الإنسان في ظل التصور المادي للتاريخ الذي وضعه ماركس اليهودي الألماني (١٨١٨-١٨٨٣م) ، يجعل تاريخ الإنسان هو تاريخ البحث عن الطعام والشراب ، وأن الوضع الاقتصادي هو الذي يحدد القيم والأخلاق إذ ليست القيم شيئاً ثابتاً ، بل أمر متطور بتطور الوضع الاقتصادي فما كان قيمة في مرحلة قد لا يكون قيمة في مرحلة أخرى ، فالتطور هو الذي يحدد القيم ، وهو أمر خارج عن إرادة الإنسان وليس هناك شيء فطري بل الفطرة لا وجود لها .

وقد قسم ماركس الحياة إلى خمس مراحل في تطورها تبدأ بالشيوعية الأولى ، ثم المجتمع الزراعي ، ثم المجتمع الصناعي ، ثم الرأسمالية ، ثم الشيوعية .

وهو بذلك يأخذ من نظرية التطور الذي وضعها دارون ولكن يزيد فيها ويوسعها كما فعل فرويد خدمة للأهداف الصهيونية .

وفي كل مرحلة من هذه المراحل الخمس يفرض الوضع الاقتصادي نوعاً من القيم والأخلاق فالعفة والغيرة على العرض أمر طبيعي في البيئة الزراعية ، حيث يستقل الرجل بالنفقة على المرأة ، لكن ذلك ينتهي بانتقال المجتمع إلى طور الصناعة حيث تحررت المرأة من نفقة الرجل ، وتستقل مادياً فينشأ عن ذلك فضيلة أخرى هي تحرر المرأة مالياً وجنسياً ، وهكذا الدين الذي كان يناسب البيئة الزراعية لأن الرجل يحرث وينتظر أمراً خارجاً عن إرادته يسقي زرعه ، وينبت ثمره ، فكان لابد من التدين له وعبادته لعجز الرجل ، أما وقد تغير الوضع وظهرت الصناعة فلم يعد الرجل ينتظر قوى الغيب فقد أصبح يصنع ما يشاء ، وبالتالي فالدين قضية بائدة والعودة إليه رجعيه وهكذا الأسرة وتكوينها وترابطها الذي كان يفرضه المجتمع الزراعي لأن الزراعة تحتاج لكثرة الرجال وتعاونهم ، وكلما كانت الأسرة أكثر رجالاً وتماسكاً كانت أكثر إنتاجاً أما وقد حلت الآلة مكان اليد العاملة فلم تعد هناك حاجة لتكوين الأسرة وترابطها[٤٣] .

ويلاحظ على نظرية ماركس أنها تدور حول محاربة الدين والأخلاق والتقاليد التي سعى اليهود لهدمها ، وكل تلك المبادئ الهدامة ساقها ماركس مساق النظرية العلمية والبحث العلمي والتجربة لتجد طريقها في عقول الناس إلى التطبيق .

الفرع الثالث : نظرية فرويد .

ولد سيجموند فرويد عام ١٨٥٦م من أبوين يهوديين وهو مؤسس مدرسة التحليل النفسي وتعاون مع (جوزيف) (١٧٥٣ – ١٨٢١م) ، وهو طبيب نمساوي في معالجة الأمراض النفسية والعصبية ، وتعرف مع جوزيف على هرتزل وسعيا معاً لتحقيق أفكار واحدة لخدمة الصهيونية كما انظم عام١٨٩٥م إلى جمعية (بناى برث) أي أبناء العهد وهي لا تقبل في عضويتها غير اليهود [٤٤].

من آراء فرويد وأفكاره [٤٥].

١- أقام فرويد نظريته في تفسير السلوك الإنساني على أساس فكرة اللاشعور ، وبدونها تتهاوى آراء فرويد ، وهذا الفكرة لم تكن نتيجة بحث علمي توصل إليه فرويد بل كانت هذه الفكرة سائدة في زمنه ، وكانت موضع اهتمام المختصين بل والعامة ، وكان كتاب فلسفة اللاشعور مشهوراً جداً حتى إنه طبع تسع مرات في مدة وجيزة .

٢- فسر فرويد السلوك الإنساني تفسيراً حيوانياً مستغلاً نظرية دارون في القول بحيوانية الإنسان ، حيث ذهب يفسر كل سلوك يصدر عن الإنسان أنه نابع من غريزة الجنس ، أما الجانب الروحي فلا وجود له على الاطلاق .

فالجنس يبدأ عند الإنسان منذ ميلاده ، وكل أعمال الطفل من حركة ورضاع وتبول هي بدافع جنسي ، ولكن الأب يحول بينه وبين أمه مما ينشأ عنده عقدة أوديب وتشعر البنت بالميل نحو أبيها ولكن الأم تحول بينها وبينه فينشأ عنده عقدة اليكترا.

٣- النشاط الحيوي كله في الإنسان يصدر بدافع جنسي لذا يجب إعطاء الدافع الجنسي الحرية المطلقة، وألا يقيد بأي قيد من دين أو خلق أو قانون .

٤- إن الدين والخلق والعادات الاجتماعية والقيم كلها قضايا مفروضة على الإنسان من الخارج وليس لها وجود في كيانه وفطرته ، وهي مصدر الكبت للإنسان .

٥- إن كبت الدافع الجنسي هو السبب في الإصابة بالأمراض العصبية كالهستيريا وغيرها ، وأن مقتضيات الصحة النفسية تدعو إلى إطلاق هذا الدافع وعدم تقييده .

٦- الجريمة اتجاه طبيعي في البشرية وينشأ ذلك بسبب الكبت الذي وقع على الطاقة الغريزية الميالة إلى الاعتداء، ولذا أصبح من المسلم به عند اتباع مدرسته التحليلية أن المجرمين كلهم مرضى لا يجوز للمجتمع معاقبتهم على ما أحدثه فيهم من شذوذ بسبب كبته لهم حتى ظهر في المدرسة التحليلية ما يسمى بالجبر النفسي ، وأن على المجتمع أن يترك الإنسان المجبور من قبل غريزته الجنسية ليفعل ما يشاء لأن تقييد حريته الجنسية سيعود بالضرر عليه وعلى المجتمع، لأن الغريزة الجنسية هي التي توجه سلوك الفرد .

٧- قضية التعبد ترجع إلى مشكلة جنسية قبل وجود الأديان ، وذلك أن الأولاد طمعوا بالاستيلاء على الأم لانهم يحسون نحوها بشبق جنسي نحوها فقتلوا أباهم لأنه يحول بينهم وبينها ثم أحسوا بالندم على فعلتهم فاقسموا ليقدسن ذكر الأب فعبدوه ، فنشأت أول عبادة عرفتها البشرية وهي عبادة الأب .

٨- نشأ أول تحريم في العلاقات الجنسية وهو تحريم الأم وذلك أن الأبناء بعد قتل أبيهم وجدوا أنهم لو تقاتلوا بينهم للاستيلاء على الأم فسيقتل بعضهم بعضا فاتفقوا على ألا يقربها أحد منهم فنشأ بذلك أول تحريم وليس له سند على هذه القصة إلا ما يحدث في عالم الحيوان – والإنسان منهم كما قال دارون –حيث يستولي أقوى الثيران على أمه بعد معركة رهيبة بينه وبين الآخرين .

٩- إنكار عالم الغيب وأن الشيطان هو انعكاس فكرة الشر في كيان الإنسان ولذا فهو ينكر الرؤى المنامية التي يظهر منها شيء من أمور الغيب ، إذ ليس للنفس الإنسانية صلة بأي شيء غيبي وما يطابق الواقع من ذلك فهو مصادفة .

١٠- الحرب في نظره محاولة جماعية للإبقاء على الذات والذي لا يحارب يعرض نفسه لاتجاه العدوان إلى الداخل فيفني نفسه بالصراعات الداخلية، فالأولى به أن يفني غيره وهذا المفهوم يعطي تبريراً يريح ضمائر اليهود أصحاب السلوك العدواني.

الفرع الرابع : نظرية دور كايم.

دوركايم يهودي فرنسي متخصص في علم الاجتماع عاش ما بين(١٨٥٨-١٩١٧م) دفعته يهوديته وتشجيع اليهود له للمشاركة في إيجاد مبررات لما يأمل اليهود تحقيقه وصياغته على شكل أفكار ونظريات تقتنع بها الجماهير الغاضبة على الكنسية، وقد أدلى بدلوه كما فعل صاحباه فرويد وماركس، لا سيما في علم الاجتماع والنفس الإنسانية ومن أهم آرائه فيما يتعلق بالنفس الإنسانية وعلاقتها بالمجتمع ما يأتي:

أ- إنكار الفطرة الإنسانية وأن الإنسان ليس مفطوراً على الإيمان بالله ﷻ وعبادته ، وبناءً على ذلك ينكر أن يكون الزواج فطرة طبيعية ، وفي هذا يقول : " إن بعض العلماء يقول بوجود عاطفة دينية فطرية لدى الإنسان وبأن هذا الأخير مزود بحد أدنى من الغيرة الجنسية والبر بالوالدين ومحبة الأبناء وغير ذلك من العواطف، وقد أراد بعضهم أن يفسر نشأة كل من الدين والزواج والأسرة على هذا النحو ولكن التاريخ يوقفنا على أن هذه النزعات ليست فطرية "(٤٦) .

ب- الدين والقيم ليست فطرية وإنما تطورت كغيرها من الكائنات تبعاً لتطور المجتمع ولا صلة للدين بالفطرة ، فالدين ظاهرة اجتماعية نبعت من ظروف المجتمع البشري ولا صلة له بوحي السماء فالمجتمع مصدر التجربة الدينية .

ج- الأديان لا قداسة لها ، فهي قابلة للتطور ولا بد من وضع دين جديد بدلاً عن الدين القديم الذي ثبت فشله يقول دوركايم : " لقد شاخت الآلهة القديمة أو هي قد ماتت فعلاً ولم تولد آلهة جديدة بعد ، وأما الإله الجديد الذي ينبغي أن يعبد في العصر الحديث فهو المجتمع نفسه فعلينا أن نقتنع جميعاً بأن المجتمع هو الإله الجديد، وأن ندين له بكل ما ندين به للآلهة القديمة وأن نقدم له من الولاء والتقديس ما كنا نقدمه للآلهة من قبل" (٤٧) .

د- يذهب دوركايم إلى أن الإنسان مجرد حيوان تحركه عوامل الاجتماع البشري فلا إرادة له ولا اختيار ويقارن بين حياة الإنسان وحياة الحيوان وبين مجتمع الإنسان والحيوان فيقول : " إنه لم يقم برهان قط على أن الميل إلى الاجتماع كان غريزة وراثية وجدت لدى الجنس البشري منذ نشأته ... وذلك لأننا نلاحظ في الواقع أن الحيوانات تعيش جماعات أو أفراداً تبعاً لطبيعة مساكنها التي توجد عليها الحياة في جماعة أو انصرافها عن هذه الحياة" (٤٨) وهكذا يرى أن الحيوان قد يعيش في جماعة بدون غريزة فطرية فالإنسان كذلك حيوان مجرد من هذه الغريزة .

الفرع الخامس : نظرية علم النفس المعرفي.

لعل هذه النظرية أرقى من النظريات السابقة في تفسيرها للإنسان حيث تحاول فهم الإنسان باعتباره عارفاً مفكراً ، وجاءت لتؤكد على القدرات الفطرية للإنسان والفعالية التي يتسم بها في اكتساب المعرفة، ودعت إلى إعادة تفسير السلوك في إطار العمليات المعرفية كالإدراك والتذكر والتفكير " وهذا الاتجاه تأثر بالتقدم في علم الحاسبات الإلكترونية ، فاستعار أنموذج الكمبيوتر لتفسير سلوك الإنسان ، فالإنسان هنا ليس فاعلاً غريزيا وإنما هو فاعل عارف، وسلوكه ليس ردود أفعال وإنما هو عن اختيار و إرادة فالفرد ينشئ السلوك إذا شاء ويمتنع عنه إذا شاء ، وكل ذلك يتم وفقا للمعلومات التي يستقبلها من الخارج فيحللها ، ويوازن بين الخيارات المتاحة ، ثم يقرر بعد ذلك ، والإنسان يستطيع أن يسترجع خبراته الماضية وذكرياته ويربطها بالحاضر ويتطلع إلى المستقبل ، ولا شك أن هذا كله يخرج بالإنسان من دائرة الفعل الغريزي وليد اللحظة إلى دائرة الفعل اللاإرادي وليد الرؤية العقلية" (٤٩) ، لكن هذا الاتجاه يهمل موضوع الأحاسيس والمشاعر في الإنسان وكذلك قضية التدين كونها فطرة إنسانية .

الفرع السادس : مدارس واتجاهات في علم النفس الغربي. (٥٠)

كثرت الآراء والنظريات في علم النفس وأصبح لكل نظرية اتباع وانتقلت تلك الآراء إلى الأجيال اللاحقة وتوسعت ونشأت بعد ذلك مدارس واتجاهات ومع الصراع بين العلم والدين أصبح من المسلمات أن العقل يتعارض مع الدين وبذلك انشطر تفكير الفرد كما انشطر سلوكه حيث أصبح يفكر بطريقة معينة في قضايا الدين تختلف عن طريقة تفكيره في القضايا الأخرى التي يعتمد فيها على التعليل والمشاهدة .

واستغل اليهود ذلك الحال ونشطوا في تشجيع العلماء وتوجيههم لخدمة أغراضهم الخبيثة وذلك لوضع نظريات علمية تبرر ما يدعو إليه اليهود من الفساد والانحلال ومحاربة الدين والقيم ليصبح له رصيد من العلم يبرر الدعوة إليه ، وإذا القينا نظرة على تلك النظريات التي حاولت كل منها تفسير طبيعة الإنسان وسلوكه فسنجد أن كل نظرية ركزت على جزئية أو

ظاهرة في الإنسان واقتصرت عليها ، ولم تنظر للإنسان من جميع جوانبه ، ومن أبرز تلك المدارس والاتجاهات ما يأتي :

١-المدرسة السلوكية .

يعزى هذا التصور إلى جاليليو و(نيوتن) (١٦٤٢ – ١٧٢٧م) من علماء الفيزياء ، حيث ساد في القرن السابع عشر تصور عن الإنسان أنه لا يختلف عن الآلة لأن الكون عبارة عن آلة كبيرة والموجودات فيه عبارة عن جسيمات مادية متحركة ، وإن كان هذا التصور عن الكون قد أصبح مجزوماً بخطئه بعد نظرية (اينشتاين) (١٧٩

– ١٩٥٥م) ومن أنصار هذا الاتجاه ديكارت ، فهو أول من دعا إلى تطبيق الآلية على دراسة النفس الإنسانية وفي القرن العشرين بالغت المدرسة السلوكية بزعامة (واطسون) (١٨٧٨ – ١٩٥٨م) في تطبيق هذا التصور عن الإنسان ومما يلاحظ على هذه المدرسة ما يأتي :

أ- إلغاء الجانب النفسي والداخلي للإنسان كالشعور والتفكير والإحساس والتخيل والضمير ونحوه اكتفاءً بدراسة السلوك الظاهر .

ب- سلب الإنسان إرادته وطبيعته الإنسانية والمؤثرات الداخلية النابعة من ذات الفرد ومشاعره فهو مجرد صدى لبيئته ومجتمعه أما القضايا الداخلية فلم تلتفت إليها لأنها ليست سلوك ظاهر يمكن ملاحظته .

ج- أثر هذ التصور على أساليب تربية الأطفال التي اقترحها (واطسون) فجميعها أساليب آلية ميكانيكية خالية من العواطف والمشاعر الإنسانية .

د- الاكتفاء في تفسير السلوك الإنساني على جانب واحد وهو السلوك الظاهر وعدم النظر للإنسان من جميع جوانبه وقد قدمت هذه النظرية صوراً سلوكية للتفكير والإبداع والشعور وعرفتها تعريفات منسجمة مع الفكرة العامة للنظرية لكن هذه سرعان ما ترنحت وتراجعت أمام علم النفس المعرفي والإنساني والتي بدأت تعتني بدراسة الأحاسيس والمشاعر بوصفها عوامل ذات دور سببي حقيقي في وظيفة الدماغ وفي السلوك .

٢–مدرسة التحليل النفسي.

تعد هذه المدرسة من آثار نظرية دارون التي فسرت الإنسان بأنه حيوان وليس بينه وبين الحيوان فرق إلا في الدرجة ، وليس في النوع فهو حيوان متطور ، ولذا لم يجد بعض العلماء مانعاً من اختبار نظرياتهم في مجال التعليم على الحيوان ثم تعميمها على الإنسان .

جاء فرويد فوسع نظرية دارون وبنى عليها فجعل السلوك الإنساني يقوم على أساس غريزي وليس أي غريزة بل غريزة الجنس فقط كما سبق ، ثم تطورت أفكار فرويد وأصبح لها أنصار وأتباع وتأثير في علم الشخصية والدوافع وعلم النفس التربوي بل امتدت إلى جميع العلوم الاجتماعية ومجالات الأدب والفن ورغم أن هذه النظريات واجهت صعوبات وأدخلت عليها تعديلات إلا أن بعض الصعوبات ظل يلازمها رغم التعديل سواء في المنهج أم في التطبيق ففي جانب المنهج تفتقر النظرية إلى التأييد التجريبي والمشاهدة الموافقة لها ، حيث لوحظ أن التجربة والمشاهدة بخلافها فليس كل سلوك يصدر عن الإنسان دافعه الجنس.

فغيرة الابن على أبيه على فرض صحتها أو وجودها في بعض المجتمعات تعود إلى نوع المعاملة التي يلقاها الابن أو البنت من قبل الأب أو الأم .

ووجود حياة جنسية قبل البلوغ يمكن تأويله بأن هناك تدرج في النضج الجنسي ومص الثدي عند الطفل ليس بدافع الجنس بل بدافع الجوع كما يلاحظ ذلك جلياً وهكذا دافع التبول والإخراج ونحوه ، وليس بدافع الجنس بل هو سلوك جزئي ضمن سلوكيات أخرى كالشعور بالحاجة للإخراج ونحوه .

لقد كان إصرار فرويد على تضخيم دافع الجنس سبباً للخلاف المبكر بينه وبين بعض زملائه مثل (أدلر) (١٨٧٠ – ١٩٣٧م) ، ومع أن الذين حافظوا على السير في إطار مدرسة التحليل النفسي قالوا كلهم بالسلوك المدفوع إلا أنهم اختلفوا في تحديد الدافع ما هو ؟

الأثر التطبيقي لآراء مدرسة التحليل النفسي.

١- الاحتقار للإنسان، فقد بدأ الإنسان الغربي ينظر إلى نفسه أنه غير مستثنى من مملكة الحيوان وليس سيداً في هذه الحياة بل هو حارس للدوافع اللاشعورية التي قد تؤذي المجتمع.

٢- السعادة الحقيقة للإنسان أن ينطلق في إشباع غرائزه وبما أن الحضارة لا تسمح بذلك فهي عدو للإنسان .

٣- اعتقاد أن إشباع الغرائز يصطدم مع المجتمع لا محالة فينشأ الكبت والأمراض العصبية.

٤- ساهمت هذه النظرية في الثورة الجنسية والتحلل الأخلاقي الذي ساد في أوروبا وأمريكا وأصبح المحللون والمعالجون ينصحون الشباب والفتيات بإقامة علاقات جنسية بكل حرية لتحقيق الصحة النفسية (٥١) .

الفرع السابع : مذاهب وآراء أخرى (٥٢).

ومع البعد عن الدين واعتقاد التعارض بينه وبين العلم انطلق العقل في الغرب بدون نور الوحي يتخبط يميناً وشمالاً لا سيما في القضايا التي لا يحسنها ومنها معرفة حقيقة الإنسان وظهرت آراء ومدارس ونظريات كثيرة ومتناقضة في تفسير حقيقة الإنسان ، ومن تلك الآراء والتفسيرات :

١- التفسير الجثماني للمشاعر والذي اقتصر في تفسيره للإنسان على الجسمية ، فكل ما يصدر عن النفس من مشاعر وانفعالات وأفكار هو مجرد انبثاق جسمي ينبع من الجسد فهذه الغدة تصنع الدافع الجنسي وأخرى تصنع الأمومة وأخرى الشجاعة أو الجبن، وهكذا فهو تفسير يقوم على أساس حيواني يحكمه الجسد بإفرازاته .

أما القيم والضمير والعقيدة والإيمان فلم يتمكن المعمل من اكتشاف غدتها وموطنها من الجسم فلتترك وتهمل ولا يلتفت إليها .

٢- المدرسة التلفيقية التي حاولت أن تنتقي من المدارس والاتجاهات السابقة لتنشئ اتجاهاً ملفقاً من الجميع كي تتجاوز سلبيات كل اتجاه ، لكنها لا زالت تنطلق من الاتجاه المادي .

٣- المذاهب الواقعية في الأدب والفنون التي ترسم الإنسان في صورة مهينة هابطة بحجة أن هذا هو الواقع فالأدب الاجتماعي يصور الإنسان وهو محكوم بالحتميات الاقتصادية والاجتماعية فيسايرها أو ينهزم .

والأدب الجنسي يصور الحياة كأنها لحظة جنسية مسعورة ولا شيء في الحياة غيرها.

٤- المذهب الطبيعي وهو أشد حيوانية إذ يرسم الإنسان فيما يرى على طبيعته سافلاً دنيئاً مخادعاً نهازاً للفرص لا يبالي بخلق ولا دين ولا قيم .

٥- نظرية علم النفس الإنساني وأنصارها أمثال (روجرز) (١٩٠٢ – ١٩٨٧م) و(ماسلو) (١٩٠٨ – ١٩٧٠م) لا يشكلون مدرسة فكرية مستقلة وليسوا متخصصين في أي مجال ذي مضمون محدد حاول أصحاب هذا الاتجاه أن يثبتوا للإنسان بعض الصفات التي سلبته النظريات الأخرى مثل الخيرية والحرية والإرادة ، ولكن يلاحظ على هذه الاتجاه ما يأتي :

أ- لا يزال هذه الاتجاه يدرس الإنسان من الناحية المادية الخاضعة للتجربة ولم يقدم تفسيراً عن حقيقة هذا الإنسان ومصيره وغاية وجوده .

ب- القيم التي أثبتها أصحاب هذا الاتجاه لا تزال قيم نسبيه كما هو سائد في غيرها من النظريات .

ج- الحرية المحدودة التي أثبتها له لا تزال غير واضحة وغير محددة .

د- الإشارة إلى البعد الروحي في الإنسان غامض وغير واضح ولا يتضح المرجع الذي تم الاستناد إليه لإثباته وفهمه .

٦- مبدأ تحقيق اللذة وإشباع الغرائز والحاجات : اجتناب الألم وتحقيق اللذة وإشباع الغرائز والحاجات فكرة قديمة تعزى إلى فلاسفة الإغريق ومن قال بها (أبقراط) وممن تكلم بها في العصر الحديث (جيرمي بنتام) (١٧٤٨ – ١٨٣٢م) ثم انتقل الحديث عنها إلى علم النفس وشاع هذه الموضوع في كثير من النظريات مثل نظرية الغرائز عند (ماكدوجال) وقبله فرويد ، فالسلوك الإنساني هدفه عندهم تحقيق إشباع الغرائز بإزالة التوتر وخفض الصراع فكل فعل يصدر عن الإنسان هو بدافع غريزي ، وهدفه إشباع تلك الغريزة كما هو الحال في الحيوان تماماً وليس هناك مؤثر آخر سواء كانت نفسياً أو اجتماعياً .

ثم جاء (موارى) الذي وضع نظرية الحاجات بديلاً عن نظرية الغرائز ووسع دائرة الحاجات إلى أكثر من عشرين حاجة ولكن لم يختلف الأمر فعند هؤلاء جميعاً لا يتحقق النمو النفسي إلا بعد الإشباع وعدم كفاية الإشباع عندهم تعني اضطراباً وقلقاً لأجل ذلك جعلوا الإشباع هدفاً رئيسياً في الحياة، بل إن غاية الحياة في علم النفس هو

إشباع الحاجات المادية والمعنوية ، " وقد تنبه إلى ما في نظرية الإشباع هذه من خلل أحد علماء النفس الغربيين وهو الألماني "فيكتور فرانكل " صاحب نظرية العلاج بالمعنى .

هذا العالم مر بخبرة قاسية ، فقدكان أحد سجناء معتقلات هتلر في ألمانيا ، فاضطره ذلك إلى مراجعة كثير من المفاهيم ، ومن ضمنها مفهوم الإشباع هذا وسبل العلاج النفسية.

وسجل ما انتهى إليه وتجربته في كتاب بعنوان "الإنسان يبحث عن المعنى" ، وفي هذا الكتاب ناقش مفهوم إشباع الحاجات وبين أنه لا يصلح هدفاً للحياة بما في ذلك الحاجة إلى تحقيق الذات الذي يدعو إليه ماسلو ، وذكر في كتابه أن السعي المستمر نحو تحقيق الإشباع أو في طلب اللذة لا يحققها بل ينقلب إلى ضدها ويحدث نوعاً من الإحباط والعصاب المعنوي ، كما أكد أن تحقيق اللذة و إشباع الحاجات ينبغي أن يكون هدفا ثانويا يسعى الشخص لتحقيقه ضمن هدف عام أكبر ،وهو المعنى من الحياة، ويرى أيضا أن الانسان لا ينبغي له أن يسعى في تحقيق ذاته ، فتحقيق الذات لا يصلح أن يكون هدفا للحياة ، لأن السعي المستمر في تحقيق الذات لا يحققها ، ويقترح بديلا لذلك وهو التسامي فوق الذات أو تجاوز الذات ، ويرى أن الإنسان لا يكون لحياته معنى إلا إذا ارتبط بذات أخرى يسعى لإرضائها وهذه الذات يصرح بأنها الله ﷻ .

المطلب الثاني :حقيقة الإنسان في ظل النظريات المادية

من خلال النظريات والمدارس والمذاهب الوضعية السابقة تتضح حقيقة الإنسان في ضوء التصور الوضعي حين استقل العقل والتجربة الحسية بمعرفة حقيقة النفس الإنسانية بعيداً عن الوحي ويمكن تلخيص ذلك فيما يأتي :

١- اعتبار العقل والمشاهدة الحسيه والتجارب المعملية مصدراً للتعرف على حقيقة النفس الإنسانية ، واستبعاد الوحي المنزل من خالق الإنسان ، المحيط بكل شيء علما من نظرية المعرفة ، وظهور عجز العقل والتجربة عن الوصول الى المعرفة الصحيحة بحقيقة الإنسان وأصل وجوده ، وغايته ومصيره والمنهج الصحيح الذي يسير على وفقه من خلال كثرة الآراء واختلافها ، واضطراب النظريات وتدافعها .

٢- نسبة خلق الإنسان وبداية وجوده إلى الطبيعة ، عبر سلسلة من التفاعلات ، واعتبار ما جاء في الكتب السماوية من بدء خلق الإنسان من آدم عليه الصلاة والسلام وزوجه حواء من الأساطير الشعبية ، يقول (كارل يونج) (١٨٧٥ – ١٩٦١م) : وهو يؤول رموز القصة كما تلقاها من تراثه الغربي " إن آدم يرمز إلى الإنسان الكوني(مثال الأب – صورة الإنسان العجوز) وآدم الثاني الذي ارتفع صليبه فوق قبر آدم الأول قد يرمز إلى حلول إنسانية جديدة تتخطى رماد إنسانية سابقة عتيقة ، ويرمز آدم الثاني (المسيح) إلى الذات ليطل المصلوب المبعوث المخلص ، وحواء هي المثال القديم لأنثوية النفس وآدم هو المثال لذكوريتها ، حواء هي المثال النسوي

القديم الذي يلعب دوراً ذا أهمية خاصة في لا وعي الذكر يقابله الحي (آدم) هذا المثير الذكري إلى لا وعي الأنثى ، فالحية هي المكون الأنثوي لنفسية الرجل والحي هو المكون الذكري لنفسية المرأة "[٥٣] .

ولأجل التأكيد على أن وجود الكائنات هو ثمرة تفاعلات كيماوية فقد " أنفق الاتحاد السوفيتي خلال ستين عاما من الشيوعية ستين ملياراً على مخابر علوم الحياة ليثبتوا ادعاء العقيدة الماركسية بأن الحياة ما هي إلا تفاعل كيماوي فباءوا بالخيبة وصدر قرارهم العلمي سنة ١٩٦٩م الذي قدم إلى القيادة السوفيتية وقد تضمن ما يلي :" ليس للعلم قدرة أن يثبت أن الحياة نتيجة تفاعل كيماوي ولا نستطيع أن نوجد الحياة في الأشياء الحية من إنسان وحيوان ونبات إلا بالخلايا التي لا نستطيع أن نوجدها "[٥٤]

٣- نفي الغاية من خلق الإنسان : إذ هو نتاج طبيعة صماء لا إرادة لها ولا تدبير ، وأما ما يصدر عنه من سلوك فغرضه إشباع الغرائز والحاجات التي اختلفت حولها الآراء والنظريات ، من قائل بأنها غريزة الجنس كما عند فرويد وأنصاره ، وقائل بأنها الدوافع الداخلية كما عند(موراي) صاحب نظرية الحاجات الذي أورد أكثر من عشرين حاجة ثم (ماكدونا) الذي ركز على حاجة الإنجاز ويتبعهما (ماسلو) الذي صنف الحاجات إلى خمسة أصناف ووضعها في صورة هرم قاعدته هي الحاجات البيولوجية ثم الحاجات النفسية والاجتماعية وأعلاها الحاجة إلى تحقيق الذات .

والمتأمل في هؤلاء جميعاً سواءً منهم من قال بالغرائز أو بالحاجات يجد أن النمو النفسي لا يتحقق عندهم إلا بالإشباع ، فهو هدف رئيسي في الحياة ، بل إن هدف الحياة في علم النفس هو إشباع الحاجات سواء كانت مادية أو معنوية ، ولم نجد من أصحاب تلك النظريات من هداه علمه وعقله وتجاربه ومشاهداته لسلوك الإنسان إلى الخالق جل وعلا.

ولا شك أن هذه الفلسفة متأثرةً بالفلسفة اليونانية ، التي عادت إليها عقول المفكرين الأوربيين بعد أن تخلصوا من طغيان الكنيسة ، فقد كان(ديمقريطس) اليوناني (٤٦٠-٣٧٠ ق.م) يرى أن السعادة هي الغاية من الحياة ، وهي تتحقق بالسكينة النفسية ، كما كان الفيلسوف اليوناني (أبيقور) (٣٤٢-٢٧٠ ق.م) هو الذي وضع مذهب اللذة والسرور وأول ما صرح به عدم الإيمان بوجود مستقبل ، ودعا إلى الاستمتاع بالحاضر ، وكان مذهبه على أن الهدف من الحياة الاستمتاع باللذات ، وليس هناك واجب آخر ، وأننا نتاج طبيعة لا تكترث بنا ، ولا تبالي ، وأن الكون ليس من فعل الآلهة [٥٥] .

" إن اعتبار الحياة الدنيا هي المبدأ والنهاية يؤثر تأثيرا بالغا في رؤية الإنسان للأشياء ، ليس فقط من الناحية الاعتقادية ، ولكن كذلك من الناحية السلوكية والعملية والعلمية ... فحين يعيش الإنسان للدنيا وحدها ، ويعتقد

أن ما يجنيه فيها من خير أو شر هو الحصيلة النهائية لجهده ، وألا بعث ولا نشور ولا حساب ولا جزاء في الآخرة ، فكيف تكون قيمه ، وكيف تكون أهدافه ؟ سوف يكون تركيزه على تحقيق الهدفين الرئيسين للحيوان الغلبة في صراع البقاء ، والاستمتاع ، وإن كانت أدواته لتحقيق كل من الهدفين هي أدوات الحيوان المتطور ، أي باستخدام العقل ، واستخدام العدد والآلات .. ومن هنا يبرز مثل هذا الشعار : القوة هي الحق !! (Might is right) ويكون قانون التعامل بين التجمعات البشرية بعضها وبعض هو قانون الغاب : القوي يأكل الضعيف أو ينحيه من الطريق ، بصرف النظر عما هو حق وما هو عدوان . وإن كان الكلام " الحلو " الذي تعلمه الحيوان المتطور حين أتيح لمخه أن يكبر ، يفيض رقة وعذوبة وهو يتكلم عن التعاون الدولي ، وعن الحرية والديمقراطية واحترام حقوق " الآخرين " ! ولا ينفي هذا أن تكون هناك " أخلاقيات " في السياسة والاجتماع ، وعلاقات الناس بعضهم وبعض في داخل كل تجمع على حدة ، قائم على رابطة الدم أو العصبية القومية ، ولكنها – باعترافهم – أخلاقيات نفعية ، يتواضعون عليها لتقليل الاحتكاك في التجمع الواحد إلى أقصى حد ممكن ، وتوجيه العدوان إلى الآخرين ! ثم لينال كل إنسان حظه من الاستمتاع الحيواني بأقل قدر من المنغصات .. وحتى هذه " الأخلاقيات "كما يقول دركايم دائمة التقلب لا تثبت على حال !"[٥٦] .

٤- الاضطراب والتناقض في تحديد مكانة الإنسان بين من يحقر من شأنه ويهبط به إلى عالم الحيوان فهو حقير في مكانته وسلوكه وأخلاقه وهدفه الذي يسعى لتحقيقه وزاد من احتقار الإنسان عندما كانت الكنيسة تقول أن الإنسان يسكن في مركز الكون فأبطل هذه المقولة (كوبر نيك) حين قال إن الإنسان مخلوق بالغ في الصغر يسكن كوكبا تافها حول نجم لا شأن له ، يقول مُحَمَّد عز الدين توفيق:- " لقد عم مفهوم الإنسان التافه الموجود في أرض تائهة في كون غامض وغزا الأوساط العلمية والعامة رغم ظلاميته ، لأنه المفهوم الذي يقدمه العلم التجريبي ، هذا العلم الذي أصبح المصدر الوحيد لتعريف الإنسان ، وخضع الإنسان لعملية تجزؤ بين علوم تجريبية متعددة ، بل داخل العلم الواحد ففي علم النفس وحده أصبح علماء النفس الفسيولوجي يرون الإنسان مجموعة من الوظائف الفسيولوجية ويرون سلوكه مجموعة من العمليات الفيزيائية والكيماوية .

وأصحاب التحليل النفسي يرونه مجموعة من الغرائز المكبوتة ، ويرون سلوكه مجموعة من الإشباعات السوية والمنحرفة لتلك الغرائز .

والسلوكيون يرونه آلة حية ، ويرون سلوكه مجموعة من الاستجابات تقوم بها هذه الآلة نتيجة مجموعة من المثيرات .

وعلماء القياس النفسي يرونه مجموعة من الأرقام والإحصائيات ، ويرون سلوكه مجموعة من الخانات والنسب المئوية ، وأصبح كل واحد سجين المعلومات المحدودة التي حصل عليها في تخصصه " [٥٧] .

وجاء من ينظر للإنسان بأنه مجرد آلة ليس لها روح كما فعل أنصار المدرسة السلوكية بزعامة (واطسون) ، ومن ينظر اليه بأنه فاعل عارف له إرادة واختيار دون التفات للجانب الروحي، كما عند أصحاب نظرية علم النفس المعرفي ، وهذا ما جعل (هنري برجسون) وغيره من أنصار المدرسة الروحية يغلون في الجانب الروحي للإنسان ويؤكدون على أهميته ، غير أن هذه المدرسة لم تختلف عن غيرها من المدارس والنظريات التي لم تستند إلى الوحي في معرفة حقيقة الروح وإنما اقتصرت على المشاهدات الإنسانية والتجارب المعملية وتحضير الأرواح[٥٨] .

وفي مقابل ذلك من الآراء المادية المتناقضة من ينظر للإنسان نظرة تعظيم وإعجاب ويدعوه للتمرد على خالقه ، ومجتمعه وقيمه ، يقول (جوليان هكسيلي) : " إن الإنسان قد خضع لله في الماضي بسبب عجزه وجهله . والآن – وقد تعلم وسيطر على البيئة – فقد آن له أن يأخذ على عاتق نفسه ما كان يلقيه من قبل في عصر العجز والجهل على عاتق الله ومن ثم يصبح هو الله ! "[٥٩]

فرغم نظرتهم الحيوانية للإنسان ، إلا أنهم وضعوه في مرتبة الإله ، فهو حيوان بحكم منشئه ، لكنه متأله بحكم جعله نفسه حكماً مطلقاً في كل ما يتعلق به من الأمور السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية ، وهو حيوان يعيش بأهداف الحيوان ، لكنه يرفض أن تكون له مرجعية في تصرفاته سوى ما يراه عقله أو يمليه عليه هواه ، وكل ذلك نشأ بسبب الخلل في الأساس الذي قامت عليه تلك المذاهب والفلسفات من إنكار للخالق والغاية من الخلق .

٥- القيم في حياة الإنسان ليست شيئا ثابتا أو مهما وكذا الاخلاق والفطرة والضمير ، إذ الإنسان كالحيوان لا يتميز عنه إلا في الرقي الجسدي الظاهر ، وليس له قيمه يتسامى بها عن عالم الحيوان ، فهو يلهث وراء شهوته الجنسية منذ طفولته حتى قتل أباه لأنه يمنعه من التمتع بأمه كما زعم فرويد ، ولم يبق للرجل حق في الاختصاص بالمرأة بعد حصول التطور الاجتماعي إلى عهد الصناعة الذي جعل المرأة تتحرر اقتصادياً وجسدياً كما عند ماركس وأنصاره

وأما المدارس والاتجاهات الحديثة فكلها تتعامل مع الإنسان على أنه آلة مجردة من الإحساس والمشاعر والقيم والضمير .

فالتفسير الجثماني للمشاعر لم يكتشف غدة في جسم الإنسان للقيم والمبادئ والسمو فأهملها من قاموسه وجاءت المذاهب الواقعية لترسم الإنسان في صورة مهينة هابطة من القيم بحجة أن هذا هو الواقع فالإنسان في المذهب الطبيعي حيوان هابط دنيء سافل تافه مخادع نماز للفرص لا يبالي بخلق ولا دين ولا قيم(٦٠).

٦- الأسرة والمجتمع غير ضروريين بالنسبة للإنسان وبإمكانه أن يعيش بعيدا عنهما ، بل ذهب دركايم في تحديد علاقة الفرد بالمجتمع وحاجته إليه متأثراً بنظرية دارون في القول بحيوانية الإنسان إلى المقارنة بين حياة الإنسان وحياة الحيوان فيقول " إنه لم يقم برهان قط على أن الميل إلى الاجتماع كان غريزة وراثية وجدت لدى الجنس البشري منذ نشأته ... وذلك لأننا نلاحظ في الواقع أن الحيوانات تعيش جماعات أو أفراد تبعاً لطبيعة مساكنها التي توجد عليها الحياة في جماعة أو انصرافها عن هذه الحياة"(٦١) .

وأما فرويد فذهب يصور علاقة الفرد بأسرته بأنها علاقة جنسية لا غير ، حيث يشعر الطفل بالغريزة الجنسية نحو أمه وتشعر البنت بالغريزة الجنسية نحو أبيها وأن الإنسان حين كبر تخلص من أبيه بالقتل ليخلو له الجو مع أمه استناداً منه إلى ما يحصل في عالم الثيران حين يتخلص الثور الكبير من بقية الثيران في صراع عنيف ثم يستولي على الأم ولا فرق بين الإنسان والحيوان .

وأما ماركس فيرى أن الأسرة وتكوينها وترابطها كان يناسب الحياة الزراعية الأولى

كما آمن الناس في الغرب بأن نظام الأسرة ، نظام مفتعل ، فليس في جسم الإنسان ما يحمل على الارتباط بأسرة ، كل ما في جسمه هو الطاقة الجنسية ، وهي مسألة بيولوجيه لا خلقية ولا اجتماعية ، فلا يحتاج الإنسان إلى أكثر من تلبية تلك الحاجة الجسدية ، ولا ضرورة لأخلاق ، ولا مجتمع ولا أسرة ... كما آمنوا بأن المثل العليا خرافة يضحك الإنسان بها على نفسه ، وأن الحقيقة الوحيدة هي الحقيقة المادية الواقعية ، ولا شيء غير ذلك إلا أساطير الحالمين (٦٢)

٧- الإنسان مخلوق بلا هداية : فقد انطلق أولئك الفلاسفة وأصحاب تلك النظريات يدرسون الإنسان بعيدا عن الوحي وتعاليم الخالق جل وعلا ، والنظر إلى الإنسان على أنه مخلوق بلا منهج ولادين يعيش عليه أو يسير على وفقه ، وحين جاء (جان جاك روسو) و(توماس هوبز) و(جون لوك) أصحاب نظرية العقد الاجتماعي زعموا أن الناس كانوا يعيشون حياتهم الفطرية الأولى بلا نظام ولا تشريع يحكمهم ولا دولة أو مؤسسة تنظم معاملاتهم وترعى شئونهم وفي طور لاحق من حياتهم احتاجوا إلى التشريع الذي ينظم أمورهم والدولة التي ترعى شئونهم فعقدوا فيما بينهم عقدا تنازلوا بمقتضاه عن جميع حقوقهم أو بعضها للمجموع والسلطة حسب هذا التصور قامت بناء على الإرادة الشعبية لذلك كان الشعب هو صاحب السيادة (٦٣) .

الخاتمة وفيها أهم النتائج والتوصيات

١- أثر الفلسفة اليونانية في تحديد معالم الفكر الوضعي الحديث ، لا سيما في نظرتهم للإنسان والكون والحياة .

٢- تعدد مناهج المعرفة في ظل الفكر الوضعي ، وكثرتها وتناقضها وظهور بعضها رداً على بعض .

٣- أثر الإلحاد في منهج المعرفة الوضعي ، حيث حصر مجال المعرفة في عالم الشهادة دون عالم الغيب واستبعد الوحي من مصدر المعرفة ، واعتمد المنهج التجريبي دون سواه في جميع المجالات وتنكر للعلوم الفطرية والضرورية مما نتج عنه ازدواجية الحقيقة العلمية ، حيث يقبل العلوم العقلية والتجريبية بينما ينظر للحقائق الدينية أنها رمز الخرافة.

٤- الانحراف في منهج المعرفة وأثره في معرفة حقيقة النفس الإنسانية وتحديد التعامل معها .

٥- كثرة النظريات وتعدد الآراء في تفسير حقيقة الإنسان واضطراب تلك النظريات ورد بعضها على بعض ، بين من يحقر من شأن الإنسان ويهبط به إلى عالم الحيوان فهو حقير في وجوده وسلوكه وهدفه ، وبين من يجعله آلة حية وبين من يجعله إلهاً يفعل ما يشاء ، وصدق الله إذ يقول : " ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيرا " .

٦- الاعتماد على العقل والمشاهدة والتجارب الحسية كمصدر للتعرف على حقيقة النفس الإنسانية واستبعاد الوحي المنزل ، مع عجز ذلك المصدر عن الوصول إلى الحق في هذا الباب .

٧- نسبة خلق الإنسان إلى الطبيعة عبر سلسلة من التفاعلات واعتبار ما ورد في الكتب السماوية من خلق الإنسان من آدم وحواء خرافة وأساطير لا حقيقة لها .

٨- نفي الغاية من خلق الإنسان لأنه نتاج طبيعة صماء لا إرادة لها ، بل هو حيوان ينطلق بمقتضى الغريزة الجنسية منذ طفولته كما يقول (فرويد) .

٩- القول بأن الإنسان ليس اجتماعياً بطبعه وأن بإمكانه أن يعيش كما يعيش الحيوان بمفرده ، فليس لديه علوم ضرورية ولا فطرة دينية ولا غريزة اجتماعية كما يقول (دور كايم) .

التوصيات

١- ضرورة العناية بتعاليم الإسلام وإبراز محاسنه ونشرها بين الناس .

٢- إبراز الفكر الغربي في جميع مجالات الحياة ، وبيان قصوره عن الوصول إلى الحق في أي جانب.

٣- ضرورة وجود الدراسات التخصصية الجزئية للتجربة الغربية ، ليكون ذلك دليل على كثير من المغرورين بالمنهج الغربي من المسلمين وغيرهم .

هوامش

(١) ينظر : نظرية المعرفة في الفلسفة الأوروبية — د. صالح بن عبد الرحمن الشريدة : ص٧٩ وما بعدها ، والموسوعة الميسرة في المذاهب والأديان المعاصرة : ص٨٢٨ ، ٨٤٢ ، وتأريخ الفلسفة الحديثة — يوسف كرم : ص٢٧ .

(٢) ينظر : لسان العرب (٤٢٦/١٢) — مادة لحد .

(٣) الصحاح للجوهري : ص ١٠٢٩ — حرف اللام .

(٤) الموسوعة الإسلامية العامة : إشراف أ.د.محمود حمدي زقزوقي : ص ١٩٧ .

(٥) الموسوعة الميسرة في المذاهب والأديان المعاصرة (٨١٣/٢) .

(٦) ينظر : مذاهب فكرية معاصرة — ص ٢٦٢ ، ومناهج البحث في العقيدة الإسلامية — ص٤٦٨ ، ٤٨٠ ، والانسان بين المادية والاسلام — ص ٤٧ .

(٧) شمس العرب تسطع على الغرب - زيغريد هونكه : ص ٤٠١ .

(٨) ينظر : مناهج البحث في العقيدة الإسلامية - عبد الرحمن الزنيدي : ص ٤٦٨ .

(٩) المصدر السابق : ص ٤٦٩ .

(١٠) مذاهب فكرية معاصرة — مُحَمَّد قطب - ص ٢٦٢. نقلاً عن : الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار — مُحَمَّد البهي — ص ٢٩٧ .

(١١) ينظر : أثر الكنيسة في الفكر الأوروبي — أحمد علي عجيبة — ص ١٠٣ وما بعدها .

(١٢) تمهيد في التأصيل - عبد الله بن ناصر الصبيح - ص١١١ .

(١٣) الإنسان بين المادية والإسلام — مُحَمَّد قطب - ص ٤٧ ، وينظر تمهيد في التأصيل : ص ١٠٦ .

(١٤) مناهج البحث في العقيدة الإسلامية - ص ٤٨٠ .

(١٥) مقارنة الأديان - أديان الهند الكبرى- د.أحمد شلبي : ص٣٦.

(١٦) ينظر : منهج المدرسة العقلية في التفسير — د. فهد بن عبد الرحمن الرومي : ص ٣٨ .

(١٧) رسالة خاتم النبيين — د.ثامر غشيان : ص ٢٢ .

(١٨) الإنسان ذلك المجهول — الكسيس كاريل : ص ١٩.

(١٩) التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية — مُحَمَّد عز الدين توفيق - ص ١٧٨ .

(٢٠) شبهات حول الإسلام — مُحَمَّد قطب : ص ١٧ .

(٢١) المعجم الوسيط — إبراهيم مصطفى وآخرون — ص ٩١٦ ، وينظر : الموسوعة الإسلامية : ص ١٣٩٢ .

(٢٢) ينظر : المصدر السابق — إشراف : د / محمود حمدي زقزوقي - ص ١٣٩٢.

(٢٣) مجلة البيان العدد ١٦٠ : النسبية - أ.د.جعفر شيخ إدريس : ص ١١٢ .

(٢٤) حركات تحرير المرأة – مثنى أمين الكردستاني: ص ١٣٤ . نقلاً عن : أزمة الإنسان الحديث – تشارلز فرانكل – ص ٥٦ .

(٢٥) النسبية – د/ جعفر شيخ ادريس – مجلة البيان – عدد ١٦٠ – ص ١١٤ .

(٢٦) تحريف رسالة المسيح – بسمة أحمد جستنية - ص ١٣٣ .

(٢٧) ينظر المصدر السابق : ص ١٥٥ ، ومصادر النصرانية – د. عبد الرزاق الأرو (٤٨٩/١) ، النصرانية في ميزان العقل والاسلام – مُحَمَّد سليم القاضلي : ص ١١٩ ، ففي ذلك ما يكفي للاستدلال على تحريف رسالة عيسى عليه الصلاة والسلام .

(٢٨) العلمانية- د.سفر الحوالي : ١٥٠-١٥١.

(٢٩) ينظر الموسوعة العربية السورية (٨٧٧/١٧) ، وموسوعة الأديان الميسرة لمجموعة من المؤلفين : ص٤٣٩.

(٣٠) ينظر: العلمانية د.سفر الحوالي : ص ١٤٦ .

(٣١) ينظر: نظرية المعرفة في الفلسفة الأوروبية : ص ٤١٤ . مصدر سابق .

(٣٢) ينظر : الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة -إعداد الندوة العالمية للشباب الإسلامي (٩٣٥/١) ، ومذاهب فكرية معاصرة - مُحَمَّد قطب : ص ٩٣ ، والانحرافات العقدية في أدب الحداثة - د.سعيد الغامدي (١١٧/١) .

(٣٣) ينظر : كواشف زيوف - عبد الرحمن حسن حنبكه الميداني : ص ٣١٧ ، والموسوعة الميسرة (٩٣٦/١) .

(٣٤) مذاهب فكرية معاصرة: ص ٩٤ .

(٣٥) التطور والثبات - مُحَمَّد قطب : ص ٤٠ .

(٣٦) ينظر : التطور والثبات : ص ٣٨ ، والموسوعة الميسرة (٩٣٥/١) .

(٣٧) ينظر : العقيدة في الله - د.عمر الأشقر : ص ٧٩-٨٠ .

(٣٨) ينظر : مذاهب فكرية معاصرة : ص ٩٥ ، والتطور والثبات : ص ٣٩ .

(٣٩) الإسلام يتحدى - وحيد الدين خان : ص ٦٥ .

(٤٠) التطور والثبات : ص ٣٥- ٣٧ .

(٤١) الخطر اليهودي (بروتوكولات) حكماء صهيون – ص ١٢٣ ، وينظر : التطور والثبات – ص ٣٤ .

(٤٢) المصدر السابق – نفس الصفحة .

(٤٣) ينظر : مذاهب فكرية معاصرة : ص ٢٥٨ .

(٤٤) ينظر : موسوعة الفلسفة – عبد الرحمن بدوي (٢ / ١٢٢) .

(٤٥) ينظر : دراسات في النفس الإنسانية : ص ٢٠ ، والإنسان بين المادية والإسلام : ص ١٩ ، والموسوعة الميسرة : ص ٨٣٢ .

(٤٦) بين علم الاجتماع الإسلامي وعلم الاجتماع الغربي - أ.د.سعد الدين صالح : ص ٥٩ ، وينظر : كواشف زيوف : ص ٣٣٨ .

(٤٧) المصدر السابق - ص ٥٩ .

(٤٨) المصدر السابق : ص ٦١ .

(٤٩) تمهيد في التأصيل : ص ١٣٤ .

(٥٠) ينظر : تمهيد في التأصيل ص ١٣١ ، وينظر : التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية : ص ٢١١ ، ودراسات في النفس الإنسانية : ص ٢٩٢ .

(٥١) ينظر : التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية : ص ٢١٧ .

(٥٢) ينظر : تمهيد في التأصيل – عبد الله بن ناصر الصبيح - ص ١٢٣ ، ودراسات في النفس الإنسانية – مُحَمَّد قطب - ص٢٩٥ والتأصيل الإسلامى :ص١٢٨

(٥٣) التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية :ص ١٣٦.

(٥٤) كواشف زيوف : ص ٥١٣ .

(٥٥) ينظر : المصدر السابق : ص ٧٢ .

(٥٦) حول التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية – مُحَمَّد قطب : ص ٦١ .

(٥٧) ينظر : التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية :ص ١٢٢ .

(٥٨) ينظر : الموسوعة الميسرة (٨٤٦/٢) .

(٥٩) حول التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية : ص ٥٦ .

(٦٠) دراسات في النفس الإنسانية : ص ٢٩٥ .

(٦١) بين علم الاجتماع الإسلامي: ص ٦١ .

(٦٢) الإنسان بين المادية والإسلام : ص ٥٣ بتصرف يسير .

(٦٣) ينظر : حقيقة الديمقراطية – مُحَمَّد شاكر الشريف : ص ٢٣ .

قائمة المراجع

١- أثر الكنيسة على الفكر الأوروبي – أحمد علي عجيبة – دار الآفاق – القاهرة – ط١ – ٢٠٠٤ .

٢- الاسلام يتحدى – وحيد الدين خان – المختار الإسلامي – القاهرة – ط٦ – ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م .

٣- الإنسان بين المادية والاسلام – مُحَمَّد قطب – دار الشروق – القاهرة – ط٤ – ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م .

٤- الإنسان ذلك المجهول – الكسيس كاريل – مكتبة المعارف – بيروت – ط٤ – ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م .

٥- بين علم الاجتماع الإسلامي وعلم الاجتماع الغربي-أ.د. سعد الدين السيد صالح –مكتبة الصحابة– جدة –ط٢-١٤١٤هـ – ١٩٩٣م .

٦- تاريخ الفلسفة اليونانية – يوسف كرم – مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة – القاهرة.

٧- التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية – مُحَمَّد عزالدين توفيق- دار السلام – القاهرة – ط٢ – ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م .

٨- التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية – مُحَمَّد عزالدين توفيق- دار السلام – القاهرة – ط٢ – ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م .

٩- تربية الأولاد في الإسلام – عبد الله ناصح علوان –دار السلام - بيروت–ط٢ – ١٣٩٨هـ – ١٩٩٨م .

١٠- تمهيد في التأصيل - عبد الله ناصر الصبيح – دار اشبيليا – السعودية – ط١ – ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م .

١١- حقيقة الديمقراطية–مُحَمَّد شاكر الشريف - دار الوطن– الرياض –ط١- ١٤١٢هـ .

١٢- حول التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية– مُحَمَّد قطب –دار الشروق – القاهرة– ط١- ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م .

١٣- الخطر اليهودي (بروتوكولات) حكماء صهيون – مُحَمَّد خليفة التونسي – دار الكتاب العربي – بيروت – ط٤ .

١٤- دراسات في النفس الإنسانية– مُحَمَّد قطب –دار الشروق – القاهرة – ط١١ – ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م .

١٥- رسالة خاتم النبيين- د. ثامر بن ناصر بن فهد غشيان- مكتبة الرشد- ط الأولى- ١٤٢٦هـ.

١٦- شبهات حول الإسلام – مُحَمَّد قطب – دار الشروق –القاهرة – ط١٦ – ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م .

١٧- شمس العرب تسطع على الغرب – زيغريد هونكه – دار صادر – بيروت – ط١٠ –١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.

١٨- الصحاح للجوهري – أبي نصر إسماعيل الجوهري – دار الحديث – القاهرة – ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م .

١٩- لسان العرب للإمام ابن منظور- دار إحياء التراث – بيروت –ط٣ – ١٤١٣ هـ –١٩٩٣م .

٢٠- مجلة البيان – المنتدى الإسلامي – الرياض – العدد ١٦٠ .

٢١- مذاهب فكرية معاصرة – مُحَمَّد قطب – دار الشروق – القاهرة – ط١ – ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م .

٢٢- المعجم الوسيط – إبراهيم مصفى وآخرون – المكتبة الإسلامية – اسطنبول – ط٢ – ١٣٩٢هـ – ١٩٧٢م .

٢٣- مقارنة الأديان، أديان الهند الكبرى- د. أحمد شلبي- مكتبة النهضة- ط٧- ١٩٨٤م.

٢٤- مناهج البحث في العقيدة الإسلامية – عبد الرحمن الزنيدي – مركز الدراسات والإعلام – دار اشبيليا – ط١ – ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م .

٢٥- منهج المدرسة العقلية في التفسير – د. فهد بن عبد الرحمن الرومي – مؤسسة الرسالة – بيروت – ط٣ – ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م .

٢٦- الموسوعة الإسلامية العامة– د. مُحَمَّد حمدي زقزوق – القاهرة – ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م .

موسوعة الفلسفة – عبد الرحمن بدوي – المؤسة العربية – بيروت – ط١ – ١٩٨٤م .

٢٧- الموسوعة الميسرة في الإديان والمذاهب المعاصرة – إشراف د. مانع بن حماد الجهني – دار الندوة العالمية – الرياض - ط٣ – ١٤١١هـ - ١٩٩٨م .

٢٨- النظام الدولي الجديد - ياسر أبو شبانة - دار السلام –القاهرة– ط٣، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م .